أسس التفكير السليم ومناهجه في الكتاب والسنة

تأليف

الدكتورة/ كوكب عامر

تاذ مساعد بكلية البنات جامعة عين شمس

أسس التفكير السليم ومناهجه في الكتاب والسنة

الدكتورة/ كوكب عامر

استاذ مساعد بكلية البنات جامعة عين شمس

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ﴾

صدق الله العظيم

(الأنعام آية ٥٣)

إهـــداء

إلى من مد لى يد العون دائماً وكـان له الفضل بعد الله فى كل ما أنجـــزت..

إلى زوجـــى العزيـــز .. وأولادى إينـــاس ومحمـــد

أهدى هذا الكتاب.

كوكب عامر

مقدمة

المنهج هو الطريق المستقيم أو الصراط المستقيم الذى يسلكه الباحث للوصول إلى حقيقة ما فى أى فرع من فروع العلم. وقد أدرك العلماء أهمية المنهج فجعلوا لكل فرع من فروع العلم منهجاً يتناسب مع طبيعة البحث فى موضوعات ذلك العلم، وترجع تلك الأهمية إلى أن المنهج يرسم خطى واضحة للباحث يسير عليها فى طريق بحثه تنتهى به إلى إستخلاص القوانين العامة والنظريات الشاملة والنتائج الصائبة التى تحكم هذا العلم أو ذاك والباحث بغير منهج أو خطة منظمة يضل الطريق ويتخبط فى سبيل الاهتداء إلى الحقائق المستهدفة من بحثه.

وليس غريباً أو من المغالاة أن نشغل أنفسنا بالبحث عن المنهج فى القرآن الكريم والسنة الشريفة فمن يدرس القرآن والسنة تدبراً وتأملاً وتعمقاً يستطيع أن يقف على مناهج متعددة تقوم على استخدام العقل والحواس والقلب والحدس والفراسة والطبيعة والظاهرات الكونية وتلك المناهج تخاطب جميع الناس على اختلاف تخصصاتهم وتباين بيئاتهم وتفاوت مستوياتهم الفكرية والثقافية، فهى مناهج تصلح لكل انسان فى كل زمان ومكان قد وضعها الله لعباده لتهديهم إلى الصراط المستقيم وهى مناهج تتسم بالعمومية والشمول والتكامل والتنوع، فهى عامة لأنها تصلح لكل الناس فى جميع العصور والأماكن وهى شاملة متكاملة لأنها تشتمل على انواع متعددة ومختلفة من المناهج بتنوع الحقائق واختلفت باختلاف العقول فقد وصفها الخالق الحكيم العالم بأساليب الحوار الصالحة لكل غرض وفى كل مناسبة وبالاستدلالات العقلية المنطقية فامتازت بذلك على المناهج التى وضعها الانسان للبحث فى العلوم المختلفة فى تكاملها وشمولها وتنوعها فسبحان الله العظم الذى لا يدانى علمه علم ولا توازى حكمتهحكمة.

وقد خلق الله عقول البشر وجبلها على حب الجدل وفطرها على طلب الدليل والبرهان الحسى والعقلى فلا تُسلم بشىء إلا إذا ثبت صدقه ولا تؤمن بصحة قضية إلا إذا تيقنت بالدليل المادى أو الحوار العقلى من صدقها ..

قال تعالى :

« وكان الانسان اكثر شىء جدلا »　　　　(الكهف آية ٥٤)

وقد بلغ من عظمة تلك المناهج الربانية أنها تخاطب الحس والعقل والقلب وتضع الأمور فى نصابها بمنطق سليم تطمئن له النفس ويقنع به العقل وتُدرأ به الشبهات.

وكان اهتمام الاسلام شديداً بصقل عقول الناس وتنوير بصائرهم وتنقية سرائرهم وتطهير نفوسهم فوضع اسس عامة للتفكير السليم والسلوك المستقيم والاخلاق الكريمة إلى جانب المنهج القويم واشبع حب الانسان الفطرى للجدل وطلب الدليل والبرهان وخلق المناخ الفكرى السليم الذى يحرر العقل من الأوهام والخرافات والتقليد الأعمى ويهديه إلى سبيل الرشاد ومن ثم فقد جاء هذا البحث عن المنهج فى القرآن والسنة فى فصلين الأول يعرض الخصائص ومميزات التفكير السليم كما جاءت فى القرآن والسنة كالدعوة إلى التخلص من الخرافات والأفكار المتوارثة والانفلات عن القديم وتنحية الذات وطرح الهوى وإقصاء الخبرة الذاتية والالتزام بالموضوعية والبحث عن الحقيقة الواضحة المتميزة وإبطال الباطل وإحقاق الحق واليقظة العقلية وعدم الغفلة والتسليم بمبدأ السببية العامة وانتظام السنن الكونية مع عدم الربط الحتمى والضرورى بين الاسباب والمسببات. وطلب الحجة والدليل العقلى والحسى والدعوة إلى العمومية والشمول والتكامل وتحريم الاشتغال بالسحر والكهانة والصبر والمثابرة وعدم التسرع فى الوصول إلى الحقيقة والاستعانة بأهل العلم والخبرة للوقوف على الحقائق والجدل والمحاورة بالحسنى والدعوة إلى الحق بالموعظة الحسنة والتزام الأمانة فى الأقوال والأفعال وحرية الفكر وحرية العقيدة وعدم التعصب والعنصرية والدعوة إلى النظر العقلى والبحث فى الظواهر الكونية وتقدير قيمة العلم والعلماء.

والفصل الثانى يعرض للمناهج المختلفة التى أمكن تبينها فى القرآن والسنة كالمنهج الاستقرائى والمنهج الاستدلالى ومنهج الجدل والمنهج التاريخ أو الاستردادى والمنهج المقارن وغيرها من المناهج.

ولا ريب أن الاتجاه لدراسة المنهج فى القرآن والسنة إتجاه سليم ينبغى الاهتمام به فى عصر اصبح فيه المنهج ضرورة علمية كما ينبغى أن تلقى هذه الدراسات ما تستحقه من اهتمام وهى دراسة تتطلب الفهم العميق لآيات القرآن والسنة الشريفة وهذا البحث المتواضع خطوة على الطريق وأرجو أن يكون كذلك.

والله الموفق،

كوكب عامر

الفصل الأول

خصائص التفكير السليم فى القرآن والسنة

الفصل الأول

سمات التفكير السليم فى القرآن والسنة

١ – السير وفق منهج محدد

٢ – الدعوة إلى النظر العقلى والبحث فى الظواهر الكونية.

٣ – تقدير قيمة العلم والعلماء والاستعانة بأهل العلم والخبرة للوصول إلى الحقائق.

٤ – حرية الفكر وحرية العقيدة وعدم التعصب ونبذ العنصرية.

٥ – الدعوة للتخص من الخرافات والافكار المتوارثة والانفلات من القديم.

٦ – تنحية الذات وطرح الهوى واقصاء الخبرة الذاتية والالتزام بالموضوعية.

٧ – البحث عن الحقيقة الواضحة المتميزة وإبطال الباطل وإحقاق الحق.

٨ – اليقظة العقلية وعدم الغفلة.

٩ – التسليم بوجود قوانين كونية مع عدم الربط الحتمى والضرورى بين الاسباب والمسببات.

١٠ – الاعتماد على الحجج المنطقية والبراهين العقلية والمشاهدة الحسية.

١١ – الدعوة إلى الشمول والتكامل.

١٢ – تحريم الاشتغال بالسحر والكهانة.

١٣ – الصبر والمثابرة وعدم التسرع فى الوصول إلى الحقيقة.

١٤ – الجدل والمحاورة بالحسنى والدعوة إلى الحق بالموعظة الحسنة.

١٥ – الالتزام بالأمانة فى الأقوال والأفعال.

الفصل الأول

سمات التفكير السليم فى القرآن والسنة

هناك اتجاهات وخصائص مميزة للتفكير العلمى السليم تتمثل فى تحرر الفكر من التحيز والجمود وعدم الاستسلام لآراء الآخرين والآراء المتوارثة دون تمحيص أو مراجعة والتحقق من صحتها كذلك من خصائص التفكير السليم اتساع الأفق العقلى وتفتح الذهن وإعمال العقل وعدم الغفلة والتحرر من الخرافات والقيود والضغوط والالتزام بالنزاهة والموضوعية وعدم الميل مع الهوى وتفهم الآراء الصادقة واحترامها حتى وإن تعارضت مع الآراء والأغراض الشخصية والتمتع برحابة الصدر فى البحث العلمى والأمانة والدقة وتقبل النقد والاستعداد لتعديل وتصويب الأفكار الخاطئة إذا ثبت خطأها فى ضوء ما يستجد من حقائق وأن يعتقد الباحث أن الآراء التى توصل إليها ليست مطلقة ونهائية وأنها تخضع للإختبار والتجريب والمراجعة المستمرة وأنه يمكن تعديلها أو تغييرها.

وتجنب الغموض والمبالغة فى دور الصدفة والدقة فى جمع الأدلة والبراهين وعدم التسرع فى إصدار النتائج والاحكام دون الاستناد إلى الأدلة الكافية المقنعة والبحث عن المسببات الحقيقية وغيرها من السمات التى تضمن سلامة التفكير ودقته وصوابه وتؤدى إلى نتائج صائبة أقرب ما تكون إلى الحقيقة(١). وقد توفرت فى القرآن عوامل جعلته أصلح المناهج لقيادة البشرية وذلك لأنه **أولا** : صادر عن الله لم يلحقه تحريف وهذه حقيقة تاريخية. **وثانياً**: لإنه مستوعباً لكل قضايا الحياة. **وثالثاً**: لأنه لا يتعارض مع حقائق الكون ولا ريب أن من يدقق النظر فى آيات القرآن الكريم والسنة

---

(١) انظر د. أحمد سليمان عودة، د. فهمى فتحى مكاوى. أساسيات البحث العلمى فى التربية والعلوم الانسانية مكتبة المنار جامعة اليرموك ١٤٠٨ م ، ١٩٨٧ ص٢٥ ومابعدها وانظر ايضاً مناهج البحث فى التربية وعلم النفس تأليف ديولوب فان ترجمة عن الانجليزية د. محمد نبيل نوفل، د. سليمان الخضرى، د. طلعت منصور غبريال مراجعة د. سيد أحمد عثمان - مكتبة الانجلو المصرية ١٩٧٩م

النبوية الشريفة يتكشف له أنهما يتضمنان سمات متعددة للتفكير السليم تهدى العقل إلى إحقاق الحق وازهاق الباطل ومن أهم هذه السمات أو الخصائص ما يلى :

١ - السير وفق منهج محدد وخطة واضحة

يجب توضيح الهدف المطلوب والوسيلة المتبعة لبلوغ الهدف والنتيجة المترتبة على الأخذ به. والمنهج بوجه عام هو وسيلة محددة توصل إلى غاية معينة أو خطة منظمة لعدة عمليات ذهنية أو حسية بغية الوصول إلى كشف حقيقة أو البرهنة عليها (١) .

وهذا بعينه مانجده فى الاسلام فإن الله سبحانه وتعالى وضع للإنسان منهجاً واضحاً متميزاً لالبس فيه ولاغموض ، محدد الغايات والوسائل والنتائج حتى يكون الناس على بصيرة من أمرهم وعلى هدى فى سعيهم وعلى علم بمصائرهم ونتائج أعمالهم وصدق الله العظيم إذ قال تعالى « **إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم** » (الاسراء: ٩) وقال تعالى ايضاً « **وانذر به الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم ليس لهم من دونه ولى ولاشفيع لعلهم يتقون** »(الانعام : ١٥٣) وقال تعالى « **وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله** » (الانعام : ٥٣).

الله سبحانه وتعالى رسم الطريق المستقيم للإنسان كى يسير فيه وليكون له إتجاه موحد متسق حول غاية واحدة (٢) وأوضح له الغث والثمين من الأفعال والأقوال وأبان له عن طريق الخير وطريق الشر وأمره بما يفعل ونهاه عما لا يريده سبحانه أن يفعله فأرسل له الأنبياء والرسل لهدايته إلى سواء السبيل ولتبليغه بمنهج السماء الذى إذا انتهجه فى حياته نال سعادة الدنيا وحسن ثواب الآخرة.

ولكن ماهو منهج الإسلام ؟ للإجابة على هذا السؤال سنتناول عناصر المنهج وهى الغاية والوسيلة والنتيجة المترتبة على الأخذ به .

أولاً : الغاية وهى فى الإسلام معرفة الله سبحانه وتعالى وتوحيده وافراد العبادة له . قال تعالى : « **وماخلقت الجن والأنس إلا ليعبدون** » (الذاريات : ٥٦) وقال تعالى

---

(١) المعجم الفلسفى - مجمع اللغة العربية : تصدير الدكتور إبراهيم مدكور ص ١٩٥

(٢) انظر : د. محمد البهى - المجتمع الحضارى وتحدياته من توجيه القرآن الكريم - مكتبة وهبه ص ٢٨، ٢٩ الطبعة الأولى ١٣٩٧ هـ / ١٩٧٧ م

« هذا سبيلى أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى » (يوسف : ١٠٨) وقال تعالى : **« وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحى اليه انه لا إله إلا أنا فاعبدون »** (١) (الانبياء : ٢٥) وقال تعالى فى الحديث القدسى : « كنت كنزاً مخفياً فأحببت أن اعُرف فخلقت الخلق فبه عرفونى» (١)

إن معرفة الله والإيمان بوحدانيته تعالى والتعبد له هى إذن الهدف المحدد الذى خُلق من أجله الانسان وسائر الخلق وينبغى على الانسان أن يعيش لتحقيق هذا الهدف السامى.

وقد يفهم من العبادة (٢) المعنى الضيق لهذا اللفظ والذى يتبادر سريعاً إلى الذهن والمتمثل فى القيام بأداء النوافل والواجبات الشرعية من صلاة وصوم وزكاة وحج وغيرها، ولاريب ان تلك العبادات تمثل ركناً هاماً لايستهان به من العبادة غير أن الركن الآخر للعبادات لايقل أهمية وهو المتمثل فى السلوك العملى للانسان فى تفاعله داخل المجتمع وفى علاقاته بالآخرين وهو مايطلق عليه فى الفقه الإسلامى «المعاملات» قال تعالى : « **فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولايشرك بعبادة ربه أحدا** » (الكهف : ١٠) فالعمل وبذل الجهد وزيادة الإنتاج بالطرق المشروعة عبادة ، «فمن بات كالاً من عمل يده بات مغفوراً له» كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن طاعة واحترام الوالدين والعمل على راحتهما عبادة، وغض البصر عبادة، والتحلى بالصدق ، والصبر، والوفاء بالعهد عبادة ، والبعد عن الفواحش، والمنكرات، والبغى عبادة ، ورعاية الأيتام والتكافل بهم والعطف عليهم عبادة، واكرام الضيف عبادة، وصيانة الاعراض عبادة، والدفاع عن الوطن عبادة، وصيانة الامانة عبادة، وحفظ اسرار الناس واسرار الدولة عبادة ، والرحمة بالضعيف ومساعدته عبادة، وقضاء حوائج الناس ومصالحهم فى سهولة ويسر دون تعطيل لها عبادة، والنظافة درجة من درجات

---

(١) انظر : د. ابو الوفا التفتازانى - حكمة العبادات مقالة بمجلة التصوف الإسلامى العدد (٧٣) جمادى الأولى سنة ١٤٠٥ هـ

(٢) انظر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية - جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمى النجدى الحنبلى جـ١ ص ٤ لمعرفة المزيد عن معنى العبادة

الإيمان فمن يتطهر وينظف جسده وثوبه والمكان الذى يعيش فيه أو يتواجد فيه فهو متعبد ومن يطهر سريرته وينقى قلبه من الحقد والحسد والكراهية للناس فهو متعبد، كذلك معاشرة الأزواج بالحسنى ومعاملتهم معاملة حسنة متبادلة بينهم عبادة ، وعدم الاستسلام لشهوات النفس وأهوائها ومجاهدتها للتغلب على نزعات الشر وتزكية الخير فيها عبادة وحب الجار واحترامه ومعاملته معاملة حسنة عبادة، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر على بصيرة عبادة، وحب الأهل والأقارب وتقوية صلة الرحم عبادة، وأداء مايناط بالإنسان من أعمال ومايوكل إليه من مسؤليات على خير وجه دون حاجة إلى رقيب، عبادة، وكف الأذى عبادة وإماطة الأذى عن الطريق عبادة ، ورد السلام عبادة، وتربية الأبناء تربية سليمة قوامها الأخلاق الفاضلة وحب الله وحب الوطن وحب العلم والعمل والإنتاج وتنشأتهم على طاعة الله والامتثال لأوامره عبادة، والرفق بالحيوان عبادة، والأهتمام بالزرع والنباتات عبادة، وإنشاء الدور لعلاج المرضى ودور العلم ودور رعاية الاحداث وكل عمل يعود بالنفع على الناس والمجتمع عبادة، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «الإيمان بضع وسبعون شعبة فأفضلها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان» (١) وقال صلى الله عليه وسلم «الإيمان الصبر والسماحة والإيمان عفيف عن المحارم عفيف عن المطامع والإيمان والعمل أخوان شريكان فى قرن لايُقبل أحدهما إلا بصاحبه» (٢) وقال صلى الله عليه وسلم : «أسلم المسلمين إسلاماً من سلم المسلمون من لسانه ويده» (٣) وقال صلى الله عليه وسلم « لايبلغ العبد حقيقة الإيمان حتى يحب للناس مايحب لنفسه » (٤) .

---

(١) إرجع إلى علاء الدين على المتقى : كنز العمال فى الاقوال والافعال جـ١ ص ٣٥ وانظر ايضاً شرح الكرمانى طبع المطبعة البهية ١٣٥٦ هـ جـ١صـ١٦ – فتح البارى طبع الأميرية ١٣٠١ هـ جـ٦ صـ٧ وعمده القارىء للعينى طبع الاستانة سنة ١٣٠٨ هـ جـ١ صـ٢١ – القطلانى طبع الأميرية ١٣٠٥ هـ جـ١ صـ٥١

(٢) انظر علاء الدين على المتقى بن هشام الهندى : كنز العمال فى الأقوال والأفعال جـ١ صـ ٣٦ وانظر البخارى فى التفسير والتعبير والإيمان ومسلم فى الإيمان والنسائى فى التفسير وابو داود والترمزى والنسائى وابن ماجة.

(٣) أخرجه البخارى فى التفسير ومسلم وابو داود فى السنة والترمزى والنسائى فى الإيمان

(٤) الكرمانى : جـ١١ صـ ٨١ – فتح البارى جـ١ صـ٤٨

هذا الجانب من العبادات له أهمية عظمى فى حياة الفرد والمجتمع فطاعة الله فى المعاملات هى فى حقيقتها عبادات وماسلف ذكره أمثلة لأنواع العبادات وليس حصراً لها، فالعبادة تشمل كل تصرف يتصرفه المرء فى جميع سلوكياته التى لاتحصى وإذا كانت هذه هى غاية المنهج فى الإسلام فهى غاية سامية كريمة فيها خير الدنيا والآخرة. فما الوسيلة إلى تحقيقها ؟

ثانياً : رسم الله سبحانه وتعالى صراطاً مستقيماً وطريقاً مبيناً لمن أراد ان ينهج نهج الإسلام ويتمثل هذا الطريق فى التشريعات السماوية فى العبادات والمعاملات. قال رسول الله صلى الله على وسلم « القرآن هو النور المبين والذكر الحكيم والصراط المستقيم » (١) فالعبادات تنظم العلاقة بين البشر بعضهم البعض. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يامعاذ إذا أردت عيش السعداء وميتة الشهداء والنجاة يوم الحشر والأمن يوم الخوف والنور يوم الظلمة والظل يوم الحرور والرى يوم العطش والوزن يوم الخفة والهوى يوم الضلال فادرس القرآن فإنه ذكر الرحمن وحرز من الشيطان ورجحان فى الميزان» (٢) وجعل الله الحياة الدنيا فرصة للتعبد وبعث سبحانه الانبياء والرسل لهداية الناس إلى الطريق المستقيم وليبلغوا منهج السماء لمن أراد أن يتخذ إلى ربه سبيلاً . وكانت رسالة الاسلام خاتم الرسالات السماوية وأكمل التشريعات للبشرية كافة . قال تعالى " **يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة** » (المائدة : ٣٥).

ثالثاً : وعد الله عباده الطائعين المؤمنين العابدين الذين التزموا بالسير على الدرب وركبوا سفينة النجاة وعدهم بالجنة والنعيم المقيم والسعادة الأبدية، وتوعد عباده الكافرين والعاصين الذين لايسيرون على الصراط المستقيم ولا يمتثلوا لأوامر الله ولا يهتدون بهديه توعدهم بالنار. وكان الوعد والوعيد واضحاً لا لبس فيه : قال تعالى : « **فأقم وجهك للدين القيم من قبل أن يأتى يوم لا مرد له من الله يومئذ يصدعون**

---

(١) علاء الدين على المتقى بن حسام الهندى : كنز العمال فى الأقوال والأفعال جـ١ ص٥٤٤ ، الكرمانى جـ١٩ ص ٦ ، فتح البارى جـ٩ ص ٨ ، عمدة القارىء جـ٩ ص ٢٨٩ ، القطلانى جـ٧ ص ٤٠٥

(٢) علاء الدين على المتقى بن حسام الهندى : كنز العمال جـ١ ص ٥٤٤ ، والكرمانى جـ١٩ ص ٨ ، فتح البارى جـ٩ ص ١٤ ، عمدة القارىء جـ٩ ص ٢٠٥

من كفر فعليه كفره ومن عمل صالحا فلأنفسهم يمهدون ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات من فضله إنه لايحب الكافرين » (الروم : ٤٣ - ٤٥) وقال تعالى : « من جاء بالحسنة فله خير منها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيئات إلا بما كانوا يعملون » (القصص آية : ٤٨) ومن فضل الله وكرمه على عباده جعل من يعمل عملاً صالحاً له عشر حسنات وتتضاعف إلى سبعمائة ضعف وأما من عمل عملاً سيئاً فله سيئة واحدة قال تعالى : « من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها وهم لايظلمون » (الأنعام : ١٦١ - ١٦٢) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «إذا أسلم العبد فحسن إسلامه يكفر الله عنه كل سيئه كان زلفها وكان بعد ذلك القصاص ، الحسنة بعشرة أمثالها إلى سبع مائة ضعف والسيئة بمثلها إلى أن يتجاوز الله عنها » (١) وقال تعالى : « والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم من الجنة غرفا تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها نعم أجر العاملين » (العنكبوت : ٥٨) وقال تعالى : « اليوم نجزى بما كنتم تعملون وأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم ربهم فى رحمته ذلك هو الفوز المبين وأما الذين كفروا أفلم تكن آياتى تتلى عليكم فاستكبرتم وكنتم قوم مجرمين » (الجاثية : ٢٩ - ٣٠) وقال تعالى : « ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم فى روضة يحبرون وأما الذين كفروا وكذبوا بآياتنا ولقاىء الآخرة فأولئك فى العذاب محضرون » (الروم : ١٤ - ١٦) وقال تعالى : « الذين كفروا و صدوا عن سبيل الله أضل أعمالهم والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما أنزل على محمد وهو الحق من ربهم كفر عنهم سيئاتهم وأصلح بالهم ذلك بأن الذين كفروا اتبعوا الباطل وأن الذين آمنوا اتبعوا الحق من ربهم كذلك يضرب الله للناس أمثالهم » (محمد : ٢ - ٣) وهكذا يرسم الله الطريق للمهتدين ويضرب الأمثال للناس حتى لايكون لأحد حجة يركن إليها أو عذراً يبرر به عدم السعى فى الطريق المستقيم واتباع المنهج القويم الذى إرتضاه الله لعباده والذى ينتهى بهم إلى النجاة والفلاح فى الدنيا والآخرة وهو يتلخص فى طاعة الله ورسوله قال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولاتبطلوا أعمالكم إن الذين كفروا و صدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم » (محمد : ٣٣ - ٣٤).

---

(١) علاء الدين على المتقى : كنز العمال جـ١ ص ٩٦ وانظر شرح الكرمانى جـ٧ ص ٢٠٠، فتح البارى جـ٣ ص ٢٢٨، عمدة القارىء للعينى جـ٤ ص ٣٢١

وقد حذر الله تعالى الناس من عاقبة الكفر والعصيان بمنتهى الوضوح فى مواضع عديدة من آيات القرآن الكريم وفى الكثير من الأحاديث النبوية. قال تعالى فى هذا الصدد : « **يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لايعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يأمرون** » (التحريم : ٦) وقال الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم :« من مات لايشرك بالله شيئاً دخل الجنة ومن مات يشرك بالله شيئاً دخل النار» (١)

وقد أطلع الله نفوس بنى آدم على وجوده واشهدهم على وحدانيته منذ خلقهم فى البداية قال تعالى : « **وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم واشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين أو تقولوا إنما أشرك أباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون** » (الاعراف : ١٧٢ - ١٧٣) وهذا مايعرف بميثاق الفطرة - وقال صلى الله عليه وسلم «كل مولود يولد على الفطرة (اى مفطور على التوحيد) فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمسحانه» (٢)

إذن كل انسان يعرف إن الله حق وانه واحد لاشريك له بالفطرة فقد فطر الله معرفته فى نفوس البشر قال تعالى : « **فطرة الله التى فطر الناس عليها لاتبديل لخلق الله** » (الروم : ٣٠) غير ان تلك النفوس لاتظل على هذا النقاء الفطرى فى معرفتها بالله فعندما تحل فى الابدان فإن ذلك داعياً لها للانغماس فى حياة مادية إستجابة لمتطلبات البدن مما يمثل حجاباً لها عن ذلك النور الفطرى وكلما كان الإنسان أقرب إلى الماديات واكثر انشغالاً بها كلما كان اكثر بعداً عن الله والعكس بالعكس . فبقدر انغماس الانسان فى الحسيات أو سموه إلى الروحانيات بقدر معرفته بربه ولذلك أرسل الله الرسل ليذكروا بنى آدم بمعرفة الله وافراد التوحيد والعبادة له. قال تعالى : « **وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث فى أمها رسولا يتلو عليهم آياتنا** » (القصص : ٥٩) وقال تعالى لخاتم الرسل محمد صلى الله عليه وسلم : « **إنا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا**

---

(١) علاء الدين المتقى بن حسام الهندى : كنز العمال جـ ١ ص ٧١

(٢) المرجع السابق جـ١ ص ٢٦

وإن من أمة إلا خلا فيها نذير » (فاطر : ٢٤). وكانت رسل الله تدعو إلى سبيل ربها بالحكمة والموعظة الحسنة.

وقد اوضح الله تعالى ان اتباع الانسان للمنهج القويم الذى رسمه لعباده لايعود على الله بالنفع فإنه سبحانه غنى عن العالمين وإنما هو لصالح الإنسان ونفعه فى الدنيا والآخرة قال تعالى : « **فمن جاهد فإنما يجاهد لنفسه وإن الله غنى عن العالمين والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيئاتهم ولنجزينهم أحسن الذى كانوا يعملون** » (العنكبوت : ٦ – ٧) كما أوضح سبحانه انه يقبل التوبة من العاصين التائبين قبل موتهم فيغفر الله لهم ذنوبهم قال تعالى : « **ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات وأن الله هو التواب الرحيم** » (التوبة : ١٠٤) .

إن المكذبين لكل ذلك سيتيقنون من صدقه وصدق قضية الإيمان فى الآخرة حينئذ سيعلمون ان الله واحد لاشريك له وان منهجه هو الحق وان الجنة حق والنار حق والحساب حق بعد ان يروا بأنفسهم مشاهد يوم القيامة يوم لا ينفع الندم ولا تُقبل التوبة ولا يجدى الإيمان قال تعالى : « **لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن أمنت من قبل** » (الانعام : ١٥٨) وقال تعالى « **فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا** » (غافر : ٨٥).

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «يامعاذ هل تدرى ماحق الله على العباد، قلت الله ورسوله أعلم قال : أن يعبدوه ولاتشركوا به شيئاً، وهل تدرى ماحق العباد على الله إذا فعلوا ؟ قلت : الله ورسوله أعلم ، قال : يدخلهم الجنة» (١)

تبين لنا مماسبق إن الاسلام له منهج متكامل واضح فالغاية سامية والطريق مستقيم والجزاء معلوم والعقاب والثواب بقدر العمل ويكرم ومغفرة من الله. وفى النهاية ما على الانسان إلا ان يلوم نفسه يوم لاينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم وسيظل هذا المنهج متضمناً فى كتاب الله وسنة رسوله الكريم . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «أتانى جبريل فقال يامحمد ان الامة مفتونة بعدك قلت له فما المخرج

---

(١) علاء الدين على المتقى بن حسام الهندى : كنز العمال جـ١ ص ١٧٦

ياجبريل قال : كتاب الله ، فيه نبأ ما قبلكم وخبر مابعدكم وحكم ما بينكم، وهو حبل الله المتين وهو الصراط المستقيم وهو قول فصل ليس بالهزل . إن القرآن لا يليه من جبار فيعمل بغيره إلا قصمه الله ولا يبتغى علماً سواه إلا أضله الله، ولا يخلق عن رده، وهو الذى لا تغنى عجائبه من يقل به يصدُق، ومن يحكم به يعدل ومن يعمل به يؤجر ومن يقسم به يُقسط» (١)

وقال صلى الله عليه وسلم «ضرب الله مثلاً صراطاً مستقيماً وعلى جنبتى الصراط سوران فيهما أبواب مفتحه، وعلى الابواب ستور مرخاة، وعلى باب الصراط داع يقول أيها الناس أدخلوا الصراط جميعاً ولا تتعوجوا ، وداع يدعو من فوق الصراط فإذا أراد الانسان ان يفتح شيئاً من تلك الابواب قال : ويحك لا تفتحه إنك إن تفتحه تلجه. فالصراط الاسلام ، والسوران حدود الله، والابواب المفتوحة محارم الله، وذلك الداعى على رأس الصراط كتاب الله ، والداعى من فوق واعظ الله فى قلب كل مسلم» (٢)

وهكذا يتبين لنا بوضوح كيف ان الاسلام كتاباً وسنة قد رسما المنهج والقويم للانسان ينتهجه فى حياته إذا التزم به الانسان نال خير الدنيا والآخرة يخاطب به الله تعالى أصحاب البصائر النافذة والعقول السليمة وإلوا الالباب قال تعالى : « **أفمن يعلم أنما أنزل اليك من ربك الحق كمن هو أعمى إنما يتذكر أولوا الألباب** » (الرعد : ١٩).

لقد وعد الدين بالنجاة لمن يتبع هذا المنهج القويم ويحتمل قدراً فى هذه النجاة يتحقق من خلال بعض الصعاب أو الآلام ولكنه لم يجعل النجاة كلها من خلال الآلام والأحزان وحدها فلم يكن الدين الناجح قط مجرد مذهب سطحى للتفائل الساذج ولم يكن قط مدعاة للتشاؤم اليائس (٣)

---

(١) علاء الدين على المتقى بن حسام الهندى ك كنز العمال جـ١ ص ١٧٦ المتوفى سنة ٩٧٥
(٢) المرجع السابق جـ١ ص ١٨٢
(٣) د. محمد كمال جعفر : الدين والتدين ص ٥٢ المجلس الأعلى للشئون الاسلامية سنة ١٩٨١

٣ - الدعوة إلى النظر العقلى والبحث فى الظواهر الكونية :

يدعو الاسلام إلى النظر العقلى وأعمال الفكر ودقة الملاحظة والبحث فى الظواهر الكونية من حولنا. وقد جاء بالقرآن الكريم العديد من الآيات التى يدعو فيها الحق سبحانه وتعالى كل انسان إلى التأمل والتفكير والتدبر العقلى لآيات الكون ومن أمثلة تلك الآيات قوله تعالى : « **أفلا ينظرون إلى الابل كيف خلقت وإلى السماء كيف رفعت وإلى الجبال كيف نصبت وإلى الارض كيف سطحت فذكر إنما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر** » (الغاشية : ١٧ - ٢١) وقد جاء فى هذه الآيات دعوة صريحة بل أمر من الله لعباده بأن يكونوا على قدر من الوعى وقوة الملاحظة وأن يعملوا عقولهم فيما حولهم من كائنات حية وغير حية على الأرض وفى السماء.

وقال تعالى : « **أولم يروا أنا نسوق الماء إلى الأرض الجزر فنخرج به زرعا تأكل منه أنعامهم وأنفسهم أفلا يبصرون** » (السجدة : ٢٧) وقال تعالى : « **أفلم يروا إلى مابين أيديهم وما خلفهم من السماء والأرض إن نشأ نخسف بهم الأرض أو نسقط عليهم كسفا من السماء إن فى ذلك لاية لكل عبد منيب** » (الروم : ٥٠) وقال تعالى « **إن فى خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس وماأنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخرين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون** » (البقرة : ١٦٤) وقال تعالى « **الم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا الوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف الوانها وغرابيب سود ومن الناس والدواب والأنعام مختلف الوانه كذلك إنما يخشى الله من عباده العلماء** » (فاطر : ٢٧ - ٢٨) وقال تعالى : « **أولم يسيروا فى الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم وكانوا أشد منهم قوة وما كان الله ليعجزه من شىء فى السماوات ولافى الأرض إنه كان عليما قديرا** » (فاطر : ٤٤) وهذه الآية السالفة لا تدعو إلى تأمل آيات الكون وانما تدعو إلى تأمل أحوال من سبق من الاسلاف فى العصور الغابرة والأعتبار بما حدث لهم والاستفادة من تجاربهم فى الحياة والتحذير من الوقوع فى نفس الأخطاء التى وقعوا هم فيها وقال تعالى : « **وهو الذى ينزل الغيث من بعد ماقنطوا وينشر رحمته وهو الولى الحميد ومن آياته خلق**

السماوات والأرض وما بث فيهما من دابة وهو على جمعهم إذا يشاء قدير » (الشورى : ٢٨-٢٩)

وهذه الآية إلى جانب انها تلفت نظر الانسان إلى الآيات التى خلقها الله فى السماوات والارض فإنها تشير بصراحة ووضوح إلى ان السماوات تسكنها كائنات حية وهى ما اسماها الله "دابة" وهو اسم يطلق على الانسان والحيوان كما أنها تنبه إلى إمكانية التقاء وجمع أهل السماوات بأهل الارض فالله قادر على ان يجمعهم معاً.

وقال تعالى « إن فى خلق السماوات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الالباب الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار » (آل عمران : ١٩٠ - ١٩١) وقال تعالى : « ولله ملك السماوات والارض وإلى الله المصير ألم تر أن الله يزجى سحابا ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاما فترى الودق يخرج من خلاله وينزل من السماء من جبال فيها من برد فيصيب به من يشاء ويصرفه عن من يشاء يكاد سنا برقه يذهب بالابصار يقلب الله الليل والنهار إن فى ذلك لعبرة لأولى الأبصار » (النور : ٤٢ - ٤٤) وقال تعالى : « أولم يروا إلى الارض كم أنبتنا فيها من كل زوج كريم إن فى ذلك لآية » (الشعراء : ٧ - ٨) وقال تعالى : « أولم ينظروا فى ملكوت السماوات والارض وماخلق الله من شيء » (الاعراف : ١٨٥) وقال تعالى « الم يروا أنا جعلنا الليل ليسكنوا فيه والنهار مبصرا إن فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون » (النمل : ٨٦) .

وخاطب الله رسوله الكريم طالباً منه أن يحث الناس على النظر العقلى فى قوله تعالى : « قل أنظروا ماذا فى السموات والارض » (يونس : ١٠١) .

وإذا دقق الانسان النظر فى الأشياء من حوله فى السماوات وما تعج به من أجرام سماوية سابحة كل فى مداره الخاص بسرعة مقدرة ونظام لا يعيبه الخلل والارض وما عليها من جبال وبحار وانهار ونباتات وكائنات حية وغير حية وظواهر كونية فإنه يجد ان كل ذلك يجرى على نحو دقيق وبقدر معلوم ونسب محدودة وكم مقدر وان جميع الكائنات ميسرة لما خلقت له وانها جميعاً خلقت لحكمة وبحكمة لا دخل للصدفة والعشوائية فيها .

إن ذلك كله إن دل على شيء إنما يدل على عظمة الخالق وقدرته وخبرته وعلمه والله تعالى سبحانه يلفت نظر الانسان وهو سيد الخليقة وخليفة الله فى الارض إلى ضرورة الوقوف أمام كل ظاهرة حوله وكل كائن فى متناول حسه وكل جارية تجرى على الارض أو فى السماء يقف أمامها مشاهداً بعين بصيرة مدققة ومتأملة ويدرسها دراسة متعمقة ليقف على حقائق صنع الله وكلما تفرس الانسان فى ملاحظاته وابحاثه ودقق فى دراسة ظاهرة ما أو مخلوق ما فإنه يقف على حقيقة هذه الظاهرة أو هذا المخلوق ويدرك تفصيلات جزئية لايعلمها إلا الباحث الدقيق تؤكد له بما لا يدع مجالاً للشك ان ذلك صنع الخالق القادر القوى المتين الخبير البصير وان لامجال للصدفة والعشوائية ولذلك قال تعالى : « **إنما يخشى الله من عباده العلماء** » (فاطر : ٢٨) ولماذا يخشى العلماء الله ؟ لأنهم لشدة تعمقهم فى دراسة الاشياء وبحثها دراسة متخصصة أتاحت لهم الوقوف على تفصيلات دقيقة تبهر عقولهم ويشاهدون فيها حكمة الصنعة ودقتها واحكامها كمياً وكيفياً فيحملهم علمهم هذا إلى التسليم بقدرة القادر وعظمته فيخشونه ويعرفون له سبحانه وتعالى قدره بعد ان عرفوا قدرته.

قال تعالى عن دقة صنعه للمخلوقات الأرضية الحية وغير الحية « **والقين فيها رواسي وأتينا فيها من كل شيء موزون** » (الحجر ١٩) ومن الآيات التى تدعو إلى النظر العقلى قوله تعالى : « **ألم تر إلى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا ثم جعلنا الشمس عليه دليلا ثم قبضناه الينا قبضا يسيرا** » (الفرقان : ٤٥ – ٤٦).

وقوله تعالى : « **أولم يروا كيف يبدى الله الخلق ثم يعيده إن ذلك على الله يسير قل سيروا فى الارض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشيء النشأة الآخرة إن الله على كل شيء قدير** » (العنكبوت : ١٩ – ٢٠) وقوله تعالى : « **أولم يروا أنا نأتى الارض ننقصها من أطرافها** » (الرعد : ٤١) وهذه الآية الكريمة تحمل حقيقة كونية يريد الله سبحانه ان يلفت نظر الانسان اليها وهى ان أطراف الارض انقص من مركزها فهى ليست كروية بشكل منتظم وإنما ناقصة من أطرافها فهى أقرب إلى الشكل البيضاوى منه إلى الكروى لانبعاجها من طرفيها. وقوله تعالى : « **أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها ومالها من فروج والارض مددناها والقينا فيها رواسى وأنبتنا فيها من كل**

زوج بهيج تبصرة وذكرى لكل عبد منيب ونزلنا من السماء ماء مباركا فأنبتنا به جنات وحب الحصيد والنخل باسقات لها طلع نضيد » (ق : ٦ – ١٠)

وهكذا يدعو الله تعالى عباده إلى النظر فيما حولهم من موجودات وظواهر واحداث كونية متعددة ومختلفة على ان يكون هذا النظر مصحوباً بالتأمل العقلى والتفكر فهى دعوة إلى النظر الحسى والعقلى فى نفس الوقت. قال تعالى : « **قل هل يستوى الاعمى والبصير أفلا تتفكرون** » (الانعام : ٥) وقال تعالى : « **فإنها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور** » (الحج : ٤٦) والله سبحانه وتعالى فى هذه الآيات يحكم على من يرون بعيونهم تلك الموجودات من حولهم وما على الارض من حياة وظواهر طبيعية ومافى السماء من بنيان ونظام دون أن يثير هذا كله تفكيرهم ويوقظ عقولهم بأنهم عمى القلوب أى ليس لهم بصيرة فإن على قلوبهم غشاوة فلا حجاب إلا فى المحجوبين فالحق ظاهر للعيان يقول تعالى : « **لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لايبصرون بها ولهم اذان لايسمعون بها أولئك كالانعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون** » (الاعراف : ١٧٩) فالغافلين عن التفكر فى ملكوت السماوات والأرض يشبههم الله بالحيوانات التى ترى الأشياء وتسمع الاصوات ولايثير هذا تفكيرها ولايستوقفها للتأمل والاستنتاج بل هم أشر وأضل من الحيوانات لانهم يملكون العقول فلا حُجة لهم أما الحيوانات فإنها لا تعقل.

وأمر الله الانسان ان يتأمل نفسه إلى جانب تأمله ماحوله فقال تعالى : « **أولم يتفكروا فى أنفسهم وما خلق الله السماوات والأرض ومابينهما إلا بالحق وأجل مسمى** » (الروم : ٨) ودعاهم أيضاً إلى تأمل كلامه تعالى متمثلاً فى القرآن الكريم فقال تعالى: « **أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها** » (محمد : ٢٤).

تلك بعض الامثلة للآيات القرآنية التى تحث على النظر العقلى وليس حصراً لها ولاريب أن قوة الملاحظة والوقوف على مايحدث من حولنا والعكوف على فهمه وتأمله ودراسته واستخلاص النتائج منه يؤدى إلى اليقظة العقلية وهى من أهم سمات التفكير العلمى السليم كما ان تأمل وتفسير الطبيعة كمعرض للابداع الالهى والاستجابة لها كوسيلة لتنفيذ مضمون الحركة الالهية العامة يقدم فرصاً للتمتع النفسى والروحى

والحسى إلى جانب الانتفاع العلمى عند الكشف عن القوانين المودعة فى الكون (١) والتى هى حقائق ثابتة يسعى الانسان لإكتشافها، والحقيقة الكونية العلمية لا تصطدم مع الحقيقة الدينية التى وردت فى القرآن (٢) لان الله خالق الكون هو الذى انزل القرآن ويعلم سر الكون واذا حدث خطأ انما يكون مصدره اما عدم فهم الحقيقة الدينية التى وردت فى القرآن فهماً صحيحاً أو يكون منشأه الظن ان الحقيقة العلمية صادقة وهى فى الواقع غير ذلك فقوانين العلم تتغير كلما يتقدم العلم ويتطور

٣ - تقدير قيمة العلم والعلماء

يهتم الاسلام اهتماماً عظيماً بالعلم وأهله وتلك سمة من أهم سمات الفكر السليم فمعرفة قدر العلم والعلماء يخلق بيئة علمية صالحة لكل مفكر ومبدع ومخترع والتاريخ الاسلامى يشهد على أن العرب بعد ظهور الاسلام قد اشتد اهتمامهم بالعلم وعرفوا للعلماء مكانتهم وشجعوهم عى إجراء ابحاثهم ووفروا لهم الامكانات اللازمة لذلك فكان بلاط الخلفاء المسلمين على مر التاريخ الاسلامى يحتفى بأهل العلم وذويه ويعرف قدرهم ويقدم لهم كل عون وقد تربى المسلمون على أن الحكمة ضالة المؤمن وعلى أن يطلبوا العلم ولو فى الصين أقتداء بتعاليم كتابهم وسنة رسولهم صلى الله عليه وسلم.

ولا أدل على أهتمام المسلمين بطلب العلم وتشجيع انتشاره وتقدمه من أنهم ترجموا تراث الانسانية العلمى والادبى فى شتى فروع المعرفة إلى اللغة العربية فقد بدأت حركة الترجمة فى العصر الاموى ثم ازدهرت وقويت فى العصر العباسى وخاصة فى عهد الخليفة المأمون العباسى (١٩٨ هـ - ٢١٨ هـ = ٨١٢ م - ٨٣٣ م) الذى أنشأ داراً للترجمة سنة (٢١٧ هـ = ٨٣٢ م) جمع فيها المترجمين الذين عكفوا على ترجمة كتب اليونان من اليونانية إلى السريانية ثم من السريانية إلى العربية. (٣)

---

(١) ارجع إلى كتاب د. محمد كمال جعفر : الدين والتدين لمعرفة الاهداف التى يخدمها الدين فيما يتعلق بالاخلاق والشعور أو العاطفة والعلم والمعرفة من ص ٢٤ - ص ٣٢ مطابع الاهرام التجارية سنة ١٩٨١

(٢) انظر محمد متولى الشعراوى : هذا هو الاسلام جـ١ الاولى ص٢٦ ومابعدها - دار الحرية للطباعة والنشر سنة ١٩٨٥ م.

(٣) انظر : H.A.R.Gibb : Studies on the Islamic civilization Oxford 1963

ويذهب السيوطى (ت ٩١١ هـ = ١٥٠٥ م) إلى أن أول من عرب كتب اليونان خالد بن يزيد بن معاوية لما أولع بكتب الكيمياء ثم كان أهتمام الخلفاء العباسيين بالترجمة فأغدقوا العطاء للمترجمين أمثال حنين بن اسحق (ت ٢٦٠ هـ = ٨٧٣ م) وابنه اسحق أبن حنين (ت ٢٩٨ هـ = ٩١٠ م) وثابت بن قرة (ت ٢٨٨ هـ = ٩٠١ م) وقسطا بن لوقا البعلبكي (ت ٣٠٠هـ = ٩١٢م) وغيرهم [١] وكان الخلفاء المسلمون يدفعون ثمن الكتاب الواحد وزنه ذهباً حتى يحصلوا عليه ، كما كانوا يجزلون العطاء للمترجمين ليقفوا على تراث اليونان والفرس والهنود والمصريين وغيرهم ولم يكن المسلمون مجرد نقلة فى حركة الترجمة وإنما حللوا كل هذه العلوم المترجمة واضافوا اليها ونقدوها ونقدوها وابتكروا الكثير بشهادة المستشرقين وكان المسلمون في اهتمامهم بالعلم يهتدون بهدى القرآن الكريم الذى حث على طلب العلم وأبرز أهميته ومكانة العلماء وأثار إنتباه العرب والمسلمين إلى الدور الخطير الذى يلعبه العلم والعلماء فى حياة الامم كذلك اقتدوا بالرسول الكريم صلى الله عليه وسلم الذى كان يحث المسلمين على طلب العلم وساهم مساهمة فعالة فى محو أميتهم حينما كان يطلب إلى كل أسير يعرف القرأة والكتابة ان يعلم عشرة افراد من المسلمين الأميين.

والقرآن الكريم والسنة الشريفة يحملان على طلب العلم وتقدير قيمته وتكريم أهله ويتضح ذلك الاهتمام الالهى بالعلم منذ ان خلق الله آدم أبو البشرية وعلمه أسماء الموجودات قال تعالى : « **وعلم ادم الاسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبؤنى باسماء هؤلاء إن كنتم صادقين قالوا سبحانك لاعلم لنا إلا ماعلمتنا** » [٢] (البقرة : ٣١ - ٣٢) ثم بعث سبحانه وتعالى الانبياء والرسل ليعلموا الناس على مر العصور وينيروا بصائرهم قال تعالى : « **الرحمن علم القرآن خلق الانسان علمه البيان** » [٣] (الرحمن : ٢)

---

(١) جلال الدين السيوطى : صون المنطق والكلام - تحقيق د. على سامى النشار ص ٩ ، وانظر أيضاً أولرى : علوم اليونان وسبل انتقالها إلى الغرب - ترجمة د. وهيب كامل

(٢) يقول الطبرى فى جامع البيان : تحقيق محمود محمد شاكر "أى علمه اسم كل شيء من الجبال والبغال والابل والجن والوحى وغيرها ص ٤٦٥

(٣) لمعرفة فضل العلم والعلماء فى الاسلام من واقع الكتاب والسنة الشريفة ارجع إلى : الغزالى : مكاشفة القلوب المقرب إلى حضرة علام الغيوب ص ٢٥١، ص ٢٥٢

وكانت أول سورة نزلت على محمد صلى الله عليه وسلم تبدأ بكلمة أقرأ ، قال تعالى : **« أقرأ باسم ربك الذى خلق خلق الانسان من علق أقرأ وربك الاكرم الذى علم بالقلم علم الانسان مالم يعلم »** (العلق : ١ - ٥) .

يقول ابن كثير فى تفسير القرآن العظيم : « فأول شيء نزل من القرآن فى هذه الآيات الكريمات المباركات ومن أول رحمة رحم الله بها العباد وأول نعمة أنعم الله بها عليهم وفيها التنبه إلى إبتداء خلق الانسان من علقة وأن من كرمه تعالى علم الانسان مالم يعلم فشرفه وكرمه بالعلم وهو القدر الذى امتاز به أبو البشرية ادم على الملائكة ، والعلم تارة يكون فى الاذهان ، وتارة يكون فى اللسان، وتارة يكون فى الكتابة بالبيان ذهنى ، ولفظى، ورسمى» (١) وفى السنة أن خير المسلمين من تعلم العلم وعلمه وان العلماء ورثة الانبياء (٢)

كرم الله الانسان بالعقل والعلم وبهما فضله على سائر مخلوقاته وحمله الأمانة التى عرضها على السماوات والارض والجبال فأبينا أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان قال تعالى : « **إنا عرضنا الأمانة على السماوات والارض والجبال فأبين أن يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان إنه كان ظلوما جهولا** » (الاحزاب : ٧٢)

فالانسان تحمل الأمانة وقال العوضى عن ابن عباس « يعنى بالامانة الطاعة عرضها عليهم (اى السماوات والارض والجبال) قبل أن يعرضها على آدم فلم يطيقونها فقال لآدم : أنى قد عرضت الأمانة على السماوات والارض والجبال فلم يطقنها فهل أنت آخذ بما فيها ؟ قال يارب وما فيها ؟ قال : إن أحسنت جزيت وإن أسأت عوقبت فأخذها آدم فحملها » (٣) وان الله سبحانه يقرر أن الكثيرين من بنى آدم عاجزين غن حمل الأمانة وإعمال العقل وتسخير العلم فى طاعة الله ومرضاته ولذلك قال تعالى عن الانسان : « **انه كان ظلوما جهولا** » .

ويوضح الله تعالى للناس أنه قد أنعم عليهم ببعثه محمد صلى الله عليه وسلم يتلوا عليهم أياته ويزكيهم ويطهرهم من رذائل الاخلاق ودنس النفوس ويخرجهم من الظلمات

---

(١) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم جـ٤ ص ٢١٢

(٢) الغزالى : مكاشفة القلوب ص ٢٥١ ، ٢٥٢ طبعة سنة ١٩٨٨ - المكتبة التوفيقية

(٣) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم جـ٣ ص ٥٢٢

إلى النور ويوقظهم من الجهل والغفلة ويحثهم على طلب العلم ويعلمهم الكتاب والحكمة ويعلمهم مالم يكونوا يعلمون فقد كانوا قبل بعثته فى جاهلية جهلاء يسفهون العقول فاصبحوا بعد الاسلام قوم يعتزون بالعلم ويحترمون أهله ويحرصون على اللحاق بركب الحضارة والمساهمة الجادة فى بناء التراث العلمى العالمى واستكمال مابدأه السابقون فى مجالات العلم المختلفة قال تعالى : « **كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلوا عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم مالم تكونوا تعلمون** » (البقرة : ١٥١)

وقال تعالى : « **واتقوا الله ويعلمكم الله والله بكل شيء عليم** » (البقرة : ٢٨٢) فعلمه تعالى محيط بجميع الكائنات وحقائق الأمور ماظهر منها ومابطن ولايخفى عليه شيء وهو سبحانه يعلم الانسان مالم يعلم وقد ذوده بالحس والعقل وأمره بطلب العلم وطلب الدليل والبرهان الحسى والعقلى وفطره على حب الجدل والمناظرة وييسره للمعرفة (١)

يتضح لنا من الآيات السالفة حرص الحق سبحانه وتعالى على ان يتعلم الانسان فكلفه بطلب العلم وأعمال العقل وجعل طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة وجعل للعلم والعلماء منزلة رفيعة عنده فهو سبحانه خير من يعرف قدر العلم وأهميته فالعلم هو النور الذى يلقى بضوئه على الحقيقة فتنكشف للعيان وتظهر وتتضح دون لبس أو غموض . وقد ورد فى القرآن الكريم آيات عديدة توضح قيمة العلم ومنزلة العلماء من ذلك قوله تعالى : « **قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لايعلمون** » (الزمر : ٩) فلا يستوى العلماء مع غيرهم من عامة الناس بل أن لهم مكانة خاصة عند الله وذلك لأن العلماء قد تعمقوا فى علومهم فعرفوا الله ووقفوا على دقة صنعه وعظمة خلقه وتنسيقه سبحانه للمخلوقات أو الموجودات الجزئية التى هى موضوعات أبحاثهم ، ولذلك فهم يشهدون ان لا إله إلا الله وحده المبدع الخالق العظيم المصور قال تعالى : « **وتلك الامثال نضربها للناس ولا يعقلها إلا العالمون** » (العنكبوت : ٤٣) فالعالمين هم أقدر الناس على معرفة عظمة الله.

---

(١) انظر : سيد قطب : فى ظلال القرآن ص ٢٧٦٧ دار الشروق ط ١٣ سنة ١٩٨٧ وانظر ايضاً الشيخ محمد متولى الشعراوى : معجزة القرآن جـ١٠ المطبعة التجارية سنة ١٩٦٠ م .

والعلماء هم الذين يعرفون أن ما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم هو الحق من ربهم قال تعالى : « **ويرى الذين أوتوا العلم الذى أنزل اليك من ربك هو الحق** » (سبأ : ٦) وتتضح مكانة العلم والعلماء عند الله من أنه سبحانه جعل شهادة العلماء تأتى فى المنزلة بعد شهادته وشهادة الملائكة قال تعالى : « **شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم** » (آل عمران : ١٨) وفى هذا تكريم للعلماء ورفع لقدرهم وقال تعالى : « **يرفع الله الذين أمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات** » (المجادلة : ١١)

وقد أمر الله الانسان بالاستعانة بأهل العلم والخبرة للوقوف على الحقائق بحكم مايتمتعون به من ذكاء وتدريب وتخصص دقيق وسعة علم وثقافة واسعة ولان العالم قد ألم وعرف موضوع علمه واستعان بكل مايعينه على فهمه وصار ذو خبرة ودراية به ، قال تعالى « **فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون** » (الانبياء : ٧ – والنحل : ٤٣) وقد جاء فى تفسير ابن كثير أن معنى "أهل الذكر" أى أهل العلم من اليهود والنصارى وكل الطوائف (١)

ويحذر الله تعالى عباده من أن يقولوا مالا يعلمون فإن إطلاق الاحكام دون علم وتثبت من صحتها أمر خطير قال تعالى : « **وتقولون بأفواهكم ماليس لكم به علم وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم** » (النور : ١٥) وفى هذه الآيات الكريمة يعظم الله من خطر الاحكام التى يدلوا بها اصحابها عن جهل ويحذر من إطلاق الاحكام جزافاً دون علم فذلك كما وصفه تعالى أمر ليس بالهين وإنما هو أمر خطير فالمفكر الذى يبغى الدقة والصدق لايتفوه بما لايعلم وهذه سمة من أهم سمات التفكير السليم وهى تحض على عدم التسرع فى إصدار الاحكام دون التأكد من صحتها ودقتها .

والاسلام يدعو أيضاً إلى اتباع العلماء وذوى الحكمة حتى ولو كانوا أصغر سناً أو كانوا أبناءنا قال تعالى : « **ياأبت إنى قد جاءنى من العلم مالم يأتك فاتبعنى أهدك صراطا سويا** » (مريم : ٤٣) وقال تعالى محذراً من الاعتماد على التخمين والظن بدلاً من العلم اليقينى موضحاً أن الظن لايغنى عن الحق شيئاً ويؤدى إلى الضلال . قال تعالى : « **مالهم به من علم إن يتبعون إلا الظن إن الظن لا يغنى عن الحق شيئا** » (النجم : ٢٨)

---

(١) انظر ابن كثير : تفسير القرآن العظيم جـ٣ ص ١٦٩ نشر الدار المصرية اللبنانية

وقال تعالى : « ذلك مبلغهم من العلم إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى » (النجم : ٣٠)

ويحذر الله أيضاً من الجدل عن جهل في غير الحق قال تعالى : « ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير » (الكهف : ٥٦) وقال تعالى : « ولا تقف ماليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤلا » (الاسراء : ٣٥) .

ويقول صاحب الطحاوية «من تكلم بغير علم فإنما اتبع هواه وقد قال الله تعالى: « ومن أضل ممن إتبع هواه بغير هدى من الله » (القصص : ٥٠) (١) وقال تعالى: « ولاتتبع أهواء الذين لايعلمون » (الجاثية : ١٨)

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إعملوا بكتاب الله فما اشتبه عليكم فسألوا أهل العلم يخبروكم» (٢) . قال قتادة : «لاتقل رأيت ولم تر وسمعت ولم تسمع وعلمت ولم تعلم فإن الله تعالى سائلك عن ذلك كله فإنه تعالى نهى عن القول بلا علم بل بالظن فإن الظن أكذب الحديث كما جاء فى الحديث الشريف «إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث» وفى سنن أبى داود «بأس مطية الرجل زعموا» أى بئس الزعم أو القول المشكوك فى صحته وقال صلى الله عليه وسلم « إن أفرى القرى يُرى الرجل عينيه مالم تريا » (٣)

وقال تعالى لمن يفترى الكذب ويطلق الأحكام دون تثبت من صدقها وصحتها علمياً « قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا إن تتبعون إلا الظن » (الأنعام : ١٤٨) وقال تعالى : نبؤنى بعلم إن كنتم صادقين » (الانعام : ١٤٣)

والعلم الذى يأمر به الله تعالى [illegible] تقتصر على جزئية معينة فى هذا الكون وإنما المقصود جملة المعارف التى يمكن ان يحيط بها الانسان من نظرة ودراسته لملكوت السماوات والارض ومابينهما من مخلوقات حية وغير حية (٤) وقد طلب الينا الرسول الكريم ان نطلب العلم ولو فى الصين أى ان نسافر لطلب العلم ويشير القرآن إلى ان

---

(١) انظر : على بن على بن محمد ابى العز : شرح الطحاوية فى العقيدة السلفية ص ٢٥٢
(٢) علاء الدين على المتقى بن حسام : كنز العمال فى سنن الاقوال والافعال جـ١ ص ١٩٠
(٣) انظر ابن كثير : تفسير القرآن العظيم : جـ٣ ص ٣٩
(٤) عباس العقاد : التفكير فريضة اسلامية ص ٥٧

العلم لايقول الكلمة الأخيرة رغم أهميته فانه متطور ومتغير ويأتى كل يوم بجديد لأن بحار المعرفة أوسع من أن يعبرها العلماء دفعة واحدة إنما يكون العلم متطور من عصر إلى عصر ويضيف علماء كل عصر حصيلة علومهم إلى ما آل اليهم من تراث السابقين عليهم ليسلموه إلى من سيلحق بهم من علماء ليضيفوا بدورهم ما يتوصلون اليه بجهودهم وهلم جرة وقد قال الله فى ذلك « **وفوق كل ذى علم عليم** » (يوسف : ٧٦)

وقال تعالى مصوراً عظم حجم المعرفة « **ولو أنما فى الارض من شجر أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر مانفدت كلمات الله إن الله عزيز حكيم** » (لقمان : ٢٧) وقال تعالى « **وما أوتيتم من العلم إلا قليلا** » (الاسراء : ٨٥) وقال تعالى : « **وقل رب زدنى علما** » (طه : ١١٤) وهذا ماسنعود للحديث عنه عند تناولنا للضرورة أو الحتمية فى القوانين العلمية وقد أشار الله فى آية الكرسى إلى ان الانسان قد يتسع علمه فيتنبأ بالغيب فى قوله تعالى « **ولايحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء** » (البقرة : ٢٥٥)

وهذا يعنى ان علم الله بالغيب والمستقبل لايحيط به الانسان إلا بالقدر الذى يشاء الله له أن يعرفه وهذا يدل على أنه فى إمكان الانسان معرفة المستقبل والاطلاع على الغيب فى الحدود التى يسمح بها الله تعالى وهذا متحقق فعلاً فى قدرة الانسان على التنبؤ بالعواصف ، والامطار ، وحالة الجو خلال مدة محددة والتنبؤ بكسوف الشمس وخسوف القمر وغيرها من الظواهر التى أمكن للانسان إعتماداً على الآلات والتقنية العلمية أن يصدق تنبؤه بها قال تعالى : « **يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا** » (البقرة : ٢٦٩) ويجب إلا يفوتنا أن الدين يخدم غرضاً علمياً ومعرفياً فقد أجاب الدين على اسئلة كثيرة حول النفس الانسانية ونشأة الانسان والعالم يقول الدكتور/ محمد كمال جعفر « لقد حاول الدين ان يجيب عن أسئلة كثيرة طالما شغلت الانسان وأقضت مضجعه ، أسئلة من هذا النوع، من أنا ؟ ومانفسى تلك التى أشعر بها ؟ ماهذا العالم ؟ ماذا يعنى بالنسبة لى ؟ لم وجدت ؟ ولم أموت؟ وماهى صفات ذلك الذى يتجاوز حدود سيطرتى وسلطانى بل سيطرة بنى جنسى؟ أيوجد قادر مدبر لهذا الكون؟ (١) فالدين يتسع لمعارف عديدة خاصة بالحياة الدنيا والآخرة وبعالم الشهادة وعالم الغيب.

---

(١) د. محمد كمال جعفر : الدين والتدين ص ٣٠

إن التطور الفكرى المعاصر والتقدم العلمى الذى حققه الانسان فى مختلف المجالات يقتضى منا دوراً فعالاً للحاق به فى العلوم والفنون والآداب والفلسفة كما يقتضى ان نحى التراث الاسلامى ونبرز ما قدمه الاسلام للنهضة الفكرية والحضارية والعلمية للمسلمين الذين بلغ عندهم العلم قمة الازدهار خلال القرنين العاشر والحادى عشر الميلاديين فظهر فيهما اعلام الفكر العلمى والفلسفى فى تاريخ الاسلام (١) فعلى الباحثين فى الفكر الاسلامى الاهتمام باحياء التراث وتنقيحه وقد استلهمت الحضارة الاوربية الحديثة العلم بمناهجه التجريبية من تلك الحضارة الاسلامية حينما ترجمت التراث العربى الاسلامى فى العلوم والفلسفة والفن والادب وكان هذا فى صقلية وهى تحت حكم العرب المسلمين فى النصف الاخير من القرن الحادى عشر وفى الأندلس فى النصف الأول من القرن الثانى عشر وفى أثناء الحروب الصليبية التى استمرت من القرن الحادى عشر الميلادى حتى القرن الثالث عشر الميلادى واسفر ذلك من نهضة علمية وحضارية فى اوربا بعد طول ركود وجمود فكرى.

٤ - حرية الفكر وحرية العقيدة ونبذ التعصب والعنصرية :

يتسم الاسلام بالتمسك بحرية الفكر وحرية العقيدة والدعوة إلى الابتعاد عن التعصب والعنصرية والحرية السياسية والديمقراطية وهذه من أهم خصائص التفكير السليم فلا اكراه فى الاسلام على الالتزام بدين معين وحرية العقيدة مكفولة لكل انسان (٢) قال تعالى : « **لااكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى** » (البقرة : ٢٥٦)

وقال تعالى لرسوله الكريم محمد صلى عليه وسلم : « **أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين** » (يونس : ٩٩) وقال تعالى : « **فذكر إنما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر** » (الغاشية : ٢١ - ٢٢) وقال تعالى : « **إنما أنت نذير** » (هود : ١٢)

---

(١) د. توفيق الطويل : الحضارة الاسلامية والحضارة الاوربية ص ١١٤، ١١٥

(٢) يجدر الاشارة إلى ان هناك شرط اساسى لابد لكل من يعتنق الاسلام ان يكون على علم به وهو ان من ارتضى الاسلام ديناً ودخل فيه لايحق له الأرتداد عنه وإلا طبق عليه حد الردة وهو القتل وهذا كشرط اساسى يعرفه الجميع قبل اعتناقهم للاسلام فإن قبل به فلا رجعة فى قبوله وهذا هو منهج الاسلام ورؤيته الواضحة ومن هنا فعلى من يرتضى الاسلام ديناً عليه ان يسلم بهذا الشرط ومن تاب بعد الارتداد تقبل منه التوبة.

وقال تعالى : « **وما أنت عليهم بجبار** » (ق : ٤٥) هذه الآيات وغيرها دليل قاطع وبرهان ساطع على حرية العقيدة وحرية الفكر فلا يصح فى الاسلام أن يكره المرء على الايمان أو الاعتقاد بل هى حرية عقيدة كاملة (١) قال تعالى : « **فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر** » (الكهف : ٢٩) وكل انسان يعتنق ما يشاء بحرية تامة.

ان الاسلام قد اسس قواعد الحرية عندما أقر حرية العقيدة وعندما حارب الدكتاتورية كما أرسى قواعد الديمقراطية عندما جعل الشورى والبيعة أ الاختيار هى أساس تولية الحاكم قال تعالى : « **وأمرهم شورى بينهم** » (الشورى : ٣٨) وقال تعالى : « **وشاورهم فى الامر** » (آل عمران : ١٥٩) فكان الرسول يشاور أصحابه وكذلك فعل الصحابة أبو بكر وعمر (٢) وأقر حرية الجدل والمناظرة عندما أمر رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم أن يجادل الكفار بالتى هى أحسن قال تعالى : « **وجادلهم بالتى هى أحسن** »(النحل : ١٢٥) وشجع الاسلام على حرية الرأى عندما أباح الرسول صلى الله عليه وسلم الاجتهاد بالرأى فى المسائل الفقهية حينما اجتهد الرسول وأمر أصحابه بالاجتهاد فى المسائل التى تعرض لهم ويطلب فيها حكم الدين ولا يكون لها نص مباشر من الكتاب أو السنة فقد أجتهد الرسول فى بعض المسائل فاقرة الوحى أحياناً ولم يقره فى أحيان أخرى وكان يبين له أن الأولى غير ماذهب إليه، وقد أمر الرسول أهل النظر من أصحابه بالاجتهاد فإذا لقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عرضوا عليه اجتهادهم فأحياناً يقرهم عليه فتكون اجتهاداتهم ثابتة بالسنة واحياناً لايقرهم على ذلك ويبين لهم فيكون بيانه صلى الله عليه وسلم هو المعتمد (٣)

وقد إستن الرسول الاجتهاد ليوضح للمسلمين المعاصرين له ولمن سيأتون بعد ذلك مشروعية الاجتهاد بالرأى ليلجأوا اليه حينما لايجدون فى كتاب الله وسنة رسوله دليلاً يدل على الحكم الشرعى .

---

(١) ارجع إلى د. التفتازانى : مفهوم الحرية فى الاسلام مقال بمجلة التصوف الاسلامى – العدد السابع ذو الحجة سنة ١٣٩٩

(٢) د. يوسف محمد عيد : دروس من حياة الرسول صلى الله عليه وسلم – المطبعة المحمدية التجارية سنة ١٩٧٩ وانظر ايضاً سيد قطب : فى ظلال القرآن ط ١٣ دار الشروق سنة ١٩٧٨

(٣) محمد الخضرى : أصول الفقه ص ٢٧٠ المكتبة التجارية الكبرى – القاهرة

ويستدل على مشروعية الاجتهاد فى الفقه بحديث معاذ بن جبل عندما بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى اليمن ليحكم فى أهلها قال : «كيف تصنع إذا عرض لك قضاءاً ؟ قال : أقضى بكتاب الله فقال : فإن لم يكن فى كتاب الله قال؟ : فبسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : فإن لم يكن فى سنة رسول الله ؟ قال معاذ قلت اجتهد رأيى ولا آلو . فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم صدرى ثم قال : الحمد لله الذى وفق رسول رسول الله لما يرضى الله ورسوله (١)

وقد روى عن عمرو بن العاص انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : «إذا حكم الحكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر» وهذا الاجر على الاجتهاد بالرأى تشجيعاً منه صلى الله عليه وسلم لفقهاء أمة الاسلام للاقدام على الفتوى(٢) فهو يعلم ان لكل عصر وزمان مسائله الخاصة ومشكلاته المختلفة التى تستوجب أحكاماً شرعية قد لايكون لها نص مباشر فى الكتاب والسنة حتى يظل الاسلام صالحاً لكل زمان ومكان.

والاسلام فى احترامه للحرية الفردية يكفل للافراد الانتاج وحرية الملكية الخاصة وحرية التجارة ولكن بشرط ان يكون كل ذلك حلالاً طيباً خالياً من الغش والاستغلال والاتجار فى ارزاق الناس وعدم الاضرار بصحتهم . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من غشنا فليس منا» وقال تعالى : **«وأوفوا الكيل إذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم»** (الاسراء : ٣٥) وقال تعالى **« فأوفوا الكيل والميزان ولاتبخسوا الناس أشياءهم»** (الاعراف : ٨٥)

والاسلام يحفظ للفرد كرامته وأمنه وحياته وماله وعرضه (٣) فقد نظم الله للانسان أصول حياته ليس ليحجر عليه ولكن يحدد حركة الفرد ليضمن الحرية للآخرين. فإذا

---

(١) شرح الكرمانى طبع البهية سنة ١٣٦٥ هـ ص ٢٥، ابن حجر فتح البارى ص ١٣ طبع الاميرية سنة ١٣٥١. العينى : عمدة القارىء جـ١١ ص ٥٠٠ الاستانة جـ١٢٠ : شرح القطلانى طبع الاميرية سنة ١٣٥٥ هـ جـ١ ص ٣٤٢واخرجه مسلم فى الاحكام وابو داود فى القضاء وابن ماجة فى الاحكام

(٢) د. طه جابر العلوى : اصول الفقه ص ٥ – المعهد العالمى للفكر الاسلامى ١٤٠١ هـ ، ١٩٨١ م

(٣) انظر : Ameer Ali : The Spirit of Islam - London 1922

جاء التشريع ليتدخل فى عدم إختلاس أو سرقة مال الغير مثلاً فإن ذلك ليس معناه أنه حجر على حرية المختلس أو السارق ولكنه حجر على حريته وحرية الآخرين من أجله وفى ذلك اقرار للحق والعدل وحماية حرية الملكية الفردية والشىء الذى يقابل بعوضه لايعتبر بخساً لأنه لم يقيد حركة شخص بعينه دون الآخرين وانما قيد حركة الجميع لحماية الجميع فقيد س من الناس لحماية الآخرين منه ثم قيد حرية الآخرين لحمايته هو فلا يصيبه منهم أذى فى ماله وعرضه ونفسه فشىء يعوضه شىء آخر (١).

ان تقنيات السماء حينما جاءت لتتدخل فى حياة الانسان، تدخلت فى الأمور النظرية التى لايهتدى فيها العقل إلى شىء لأن هواه يتحكم فيه أما الأشياء الأخرى التى لايتحكم فيها الهوى فترك الاسلام فيها حركة الحياة حرة كالعلم التجريبى فللانسان أن يبحث ويجرب ويلاحظ ظواهر الكون كما يشاء ويخرج من النظريات والقوانين العلمية ما يشاء وإذا أنتهى إلى حقيقة علمية فعليه ان ينتفع بها فى ترقية حياته (٢)

وقد دعم الاسلام الحرية حينما جعل السادة والعبيد سواسية لافرق بينهم عند الله ولا فرق بين غنى وفقر أو حاكم ومحكوم أو بين قوى وضعيف أو رجل وأمرأة فالجميع أمام التشريعات السماوية سواسية . قال تعالى : « **يأيها الذين آمنوا لايسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولانساء من نساء عسى أن يكن خير منهن** » (الحجرات : ١١) ففى الاسلام لافرق بين عربى ولا اعجمى إلا بالتقوى والعمل الصالح فلا عنصرية فى الاسلام ولاتحذب ولا محاباة لاحد على حساب الاخر وانما الجميع أمام التشريعات السماوية سواء (٣)

---

(١) محمد متولى الشعراوى : هذا هو الاسلام ص ٢١ وانظر ايضاً د. زكريا ابراهيم – مشكلة الحرية – الطبعة الثالثة – القاهرة سنة ١٩٧٢ م.

(٢) انظر محمد متولى الشعراوى : هذا هو الاسلام ص ١٩، ٢٠

(٣) سبق الاسلام الثورة الفرنسية فى اعلانها حقوق الانسان بنحو اثنى عشر قرناً من الزمان وسبق ما اعلن فى المؤتمرات الدولية المعاصرة بنحو أربعة عشر قرناً – انظر د. توفيق الطويل : الحضارة الاسلامية والحضارة الاوربية

وقد كرم الله الانسان حينما جعله المخلوق الوحيد الذى يعبد الله عن أختيار وحب وليس كرهاً وكرم الله الانسان حينما جعله سيد الخلق وسخر كل المخلوقات لخدمته . قال تعالى : « **ولقد كرمنا بنى آدم** » (الاسراء : ٧٠) .

ومما لاشك فيه ان هذه الحرية والديمقراطية والمساواة والعدل وعدم التفرقة العنصرية والأمن والأمان وعدم التعصب الذي يتمتع به المواطن المسلم يخلق مناخاً طيباً واساساً راسخاً يقوم عليه الفكر السليم .

ولا أدل على الحرية فى الاسلام من ان الله سبحانه وتعالى لايكلف الانسان إلا حسب قدرته « **لايكلف الله نفسا إلا وسعها** » (البقرة : ٢٨٦)

كذلك فإن التشريعات السماوية تجعل الانسان أمام عدة أختيارات ينتقى منها ما يناسبه كعتق رقبة أو صيام شهرين متتاليين أو اطعام عدد من المساكين و....الخ.

وقيادة المجتمع الاسلامى كما يصوره القرآن الكريم كانت قيادة دعوة لقيم عليا نحو المستوى الانسانى الرفيع كما كانت قيادة لسياسة دولة هى دولة المؤمنين بالدعوة للقيم العليا (١)

ان الحرية السياسية والاجتماعية هى التى تمكن الفرد من أن يفعل مايريد فى حدود القانون والتشريع ومن غير أن يسىء إلى غيره وأخص الحريات السياسية التى دعا إليها الاسلام حرية الرأى والقول والاعتقاد والملكية وهى كلها مقيدة بالاحكام الشرعية التى تحفظ نظام المجتمع وحقوق الآخرين وتقر العدل بلا استثناء ولا ظلم ولا محاباة.

---

(١) د. محمد البهى : المجتمع الحضارى وتحدياته ص ٥٦ مكتبة وهبة سنة ١٩٧٧ وانظر ايضاً : ابن الجوزى : عجائب علوم القرآن . تحقيق د. عبد الفتاح عشاور

٥ - الدعوة للتخلص من الخرافات والأفكار البالية المتوارثة والانفلات من القديم :

يدعو الاسلام إلى البدء بالشك المنهجي Methodical Daubt وهى مرحلة اساسية من مراحل التفكير السليم قوامها تمحيص المعانى والأحكام المتوارثة بحيث لا يُقبل منها إلا ما ثبت صدقه ويقينه فالقرآن الكريم والسنة الشرفة يحضا على أن يبدأ التفكير السليم عن طريق كشف الحقيقة بالشك المنهجي الذى ينتهى بصاحبه إلى اليقين والمعرفة الصحيحة الذى هو عكس الشك السفسطائى أو الشك لمجرد الشك وليس بهدف الوصول إلى المعرفة (١).

هذا الشك المنهجي يكون فى الأفكار القديمة والمعتقدات المتوارثة التى تفتقر إلى دعائم وأدلة عقلية وحسية وقد أفاض القرآن والسنة فى المطالبة باتباع هذا المنهج ومن أمثلة ذلك قوله تعالى : « **قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا. أولو كان آباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون** » (المائدة آية ١٠٤). وقال تعالى : « **بل قالوا إنا وجدنا أباءنا على أمة وإنا على آثرهم مهتدون** » (الزخرف : ٢٢). وقال تعالى : « **قالوا أجئتنا لتلفتنا عما وجدنا عليه آباءنا** » (يونس آية ٧٨). وقال تعالى : « **قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجو قبل هذا أتنهانا أن نعبد ما يعبد آباؤنا** » (هود آية ٦٢). وقال تعالى : « **فلا تك فى مرية مما يعبد هؤلاء ما يعبدون إلا كما يعبد آباؤهم من قبل وإنا لموفوهم نصيبهم غير منقوص** » (هود آية ١٠٩). وقال تعالى : « **وما تعبدون من دونه إلا أسماء سميتموها أنتم وأباؤكم وما أنزل الله بها من سلطان** » (يوسف آية ٤٠). وقال تعالى : « **وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا** » (الأعراف : ٢٨).

وفى قصة سيدنا ابراهيم عليه السلام مع قومه خير دعوة للانفلات من القديم وترك الأفكار المتوارثة التى فى حاجة إلى تمحيص للتأكد من صحتها. قال تعالى : « **ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين إذ قال لآبيه وقومه ما هذه التماثيل التى أنتم لها عاكفون قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين قال لقد كنتم أنتم وآباؤكم فى ضلال مبين قالوا أجئتنا بالحق أم أنت من اللاعبين. قال بل ربكم رب السماوات والأرض الذى فطرهن**

---

(١) انظر د./ توفيق الطويل : أسس الفلسفة ص٣٠٢ وانظر أيضاً ديكارت الجديد للدكتور/ يحيى هويدى.

وأنا على ذلكم من الشاهدين وتالله لأكيدن لأ صنامكم بعد أن تولوا مدبرين فجعلهم جذاذا إلا كبيرا لهم لعلهم إليه يرجعون قالوا من فعل هذا بآلهتنا إنه لمن الظالمين قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم قالوا فأتوا به على أعين الناس لعلهم يشهدون قالوا أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم قال بل فعله كبيرهم هذا فسألوهم أن كانوا ينطقون فرجعوا إلى أنفسهم فقالوا إنكم أنتم الظالمون ثم نكسوا على رؤوسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون قال أفتعبدون من دون الله مالا ينفعكم شيئا ولا يضركم أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون » (الأنبياء آية ٥١ : ٦٧). وفى هذه الأيات يصور الله تعالى أصرار قوم ابراهيم على التقليد الأعمى لما وجدوا عليه الأباء والأجداد والتمسك بالقديم دون تمحيص أو تدقيق فى مدى صحته ونفعه.

وقال تعالى فى ذلك أيضاً : « وآتل عليهم نبأ ابراهيم إذ قال لأبيه وقومه ما تعبدون قالوا نعبد أصناما فنظل لها عاكفين قال هل يسمعونكم إذ تدعون أو ينفعونكم أو يضرون قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون » (الشعراء من ٦٩ – ٧٤).

من هذه الآيات السابقة يتضح جلياً كيف أن الله سبحانه وتعالى دعانا إلى عدم التقليد الأعمى والإبتعاد عن الخرافات وعدم التسليم بما وجد عليه الأجداد والأباء من أفكار ومعتقدات دون شك فى مدى صدقها والتأكد من صحتها لمعرفة الحق من الباطل والفث من الثمين وتلك سمة من أهم سمات التفكير السليم وخطوة رئيسية فى طريق الوصول إلى الحقيقة [1].

٦ - تنحية الذات وطرح الهوى واقصاء الخبرة الذاتية والإلتزام بالموضوعية: Objectivity

عند الحكم على الأشياء يجب الإلتزام بالنزاهة Disinterestedness والحياد التام للوصول إلى الحقيقة المجردة على ما هى عليه وقد حرص القرآن الكريم والسنة الشريفة على أن يتحلى من يريد أن يصل إلى الحق والحقيقة بهذه السمة الهامة والتى تكفل نتائج صادقة لا يشوبها نزعات فردية أو أهواء شخصية وإنما نتائج موضوعية صادقة.

---

(١) لمعرفة المزيد عن الشك المنهجى أرجع إلى د./ عثمان أمين ديكارت ، د./ يحيى هويدى. ديكارت الجديد القاهرة ١٩٦٥م.

قال تعالى : في وجوب طرح الهوى عند الحكم على الأشياء : « **ومن أضل ممن اتبع هواه** » (القصص آية ٥٠). وقال تعالى : واصفاً الذين يدخلون آهوائهم الشخصية في الحكم على الأشياء بغير علم بأنهم ظالمون بعيدون عن النزاهة والعدالة « **بل اتبع الذين ظلموا أهواءهم بغير علم** » (الروم آية ٢٩). كما وصفهم سبحانه بالضلال فى قوله تعالى : « **ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله** » (القصص ٥٠). فقد ضلوا منهج الطريق السوى ومنهج التفكير والصراط المستقيم. وقال تعالى : « **واستقم كما أمرت ولا تتبع أهواءهم وقل آمنت بما أنزل الله** » (الشورى : ١٥). وقال تعالى : « **إن كثيرا ليضلون بأهوائهم بغير علم** » (الأنعام ١١٩).

وفى ضرورة الإلتزام بالنزاهة فى الحكم على الأشياء قال تعالى : « **ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون** » (الأنعام ٢١).

وفى ذم من يستعلى على طلب الحقيقة ويمنعه كبريائه من البحث عنها لمخالفتها لهوى نفسه أو لرأيه الشخصى فيظل على إصراره فى اتباع الباطل رغم وضوح الحق. قال تعالى : « **يسمع آيات الله تتلى عليه ثم يصر مستكبرا كأن لم يسمعها** » (الجاثية آية ٨). وقال تعالى : « **وإذا علم من آياتنا شيئا إتخذها هزوا أولئك لهم عذاب مهين** » (الجاثية ٩). وقال تعالى : « **وأتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها** » (الأعراف آية ١٧٥). وقال تعالى : « **وما تأتيهم آية من آيات ربهم إلا كانوا عنها معرضين** » (الأنعام ٤). وقال تعالى : « **ولقد أريناه آياتنا كلها فكذب وأبى** » (طه ٥٦). وقال تعالى : « **ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا** » (الأعراف آية ١٠١)

هذه أمثلة وليست حصراً لآيات من القرآن الكريم توضح كيف أن الله تعالى يحث الناس على ترك هوى النفس فى البحث عن الحقيقة ويبصرهم بضرورة الإلتزام بالنزاهة وعدم تجاهل الحق إذا ما ظهر جلياً حتى يمكن الوصول إلى نتائج موضوعية وحض سبحانه أيضاً على عدم التعالى على من جاء بالحق ونطق به أياً كان شأنه. وتلك خاصية من أهم خصائص التفكير السليم [١].

---

(١) انظر : د./ توفيق الطويل فى تراثنا العربى الإسلامى ص ٢٠٥.

٧ - الحث على طلب الحقيقة الواضحة المتميزة Distinct واظهارها وإبطال الباطل :

حتى لا تختلط الحقيقة بغيرها من الأفكار ولكى تكون أكثر تحديداً لمن ينظر فيها ينبغى أن يدرك مضمونها وعناصرها إدراكاً بيناً بحيث لا تقبل الشك، ويكون طلب الحقيقة لذاتها دون غرض آخر وقد تضمن القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة هذه الخاصية للتفكير السليم ويبدو ذلك فى مثل قوله تعالى : « **يريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون** » (الأنفال آية ٧، ٨). وقال تعالى : « **واعبد ربك حتى يأتيك اليقين** » (الحجر : ٩٩). وقال تعالى : « **وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا** » (الاسراء :٨١). وقال تعالى : « **ما لهم به من علم ولا لآبائهم كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا** » (الكهف : ٥).

ويحب الله سبحانه وتعالى أن يظهر الحق ويغلبه على الباطل قال تعالى : « **بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق** » (الأنبياء ١٨). ويحذر الله تعالى من محاولة الباس الباطل ثوب الحق وينهى عن كتمان الحق وطمسه محاولة كتمانه واخفائه قال تعالى : « **ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون** » (البقرة ٤٢). قال تعالى : « **يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وأنتم تعلمون** » (آل عمران :٧١).

والحق اسم من أسماء الله تعالى وقد أنزل الله كتابه بالحق قامت حجته على العدل والحق وحارب الباطل والكذب وحرمهما وقد حذر رسوله من اتباع أهواء أهل الباطل وأمره أن يلتزم بالحق قال تعالى : « **ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق** » (المائدة ٤٨). وقال تعالى : « **حقيق على أن لا أقول على الله إلا الحق** » (الأعراف ١٠٥).

ويوضح الله تعالى أن من لا يسير على الحق ويظهره فليس أمامه إلا أن يتبع الباطل فلا ثالث بين الحق والباطل قال تعالى : « **فماذا بعد الحق إلا الضلال فأنى تصرفون** » (يونس ٣٢).

والحق الذى يطلبه الله تعالى هو الذى يتميز بالوضوح البعيد عن الظن أو الشك الذى لا يغنى عن الحق فى شىء. قال تعالى: « **إن الظن لا يغنى عن الحق شيئا** » (يونس :٣٦).

ويؤكـد الله تعـالى على أنه ليس أظلم ممن يرى الحق بيناً ثم يكذب به ويرى الحقيقة واضحة متميزة ويتجاهلها ويتغافل عنها. قال تعالى : « **ومن أظلم ممن إفترى على الله كذبا أو كذب بالحق لما جاءه** » (العنكبوت ٦٨).

ويعتبر الإهتمام بصدق القول أو صدق القضايا معبراً أميناً للوصول إلى الحقيقة وكما جعل الاسلام التزام الصدق فى الأقوال والأفعال وتجنب الكذب والظن بغير أساس من أهم السمات التى يتسم بها الإنسان الباحث عن الحقيقة فإنه طالب بتحرى صحة أقوال الآخرين والتأكد من صدقها قبل التسليم بها والتصرف على هذا الاساس. قال تعالى : « **يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين** » (الحجرات آية ٦).

وقد دعا الله الذين آمنوا أن يكونوا من الصادقين قال تعالى : « **يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين** » (التوبة ١١٩).

وقد وعد الله الصادقين والباحثين عن الحق والمناصرين له باحسن الجزاء قال تعالى: « **ليجزى الله الصادقين بصدقهم** » (الأحزاب ٢٤). وقال تعالى : « **قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم** » (المائدة ١١٩). فإذا توفرت الأدلة وتآثرت نفس المصدق بها كان العلم أشد رسوخاً فى نفسه وأعمق آثراً فى قلبه فالأيمان بصدق قضية يقوى بالبرهان ويرتفع بصاحبه إلى درجة الإطمئنان (١).

٨ - اليقظة العقلة وعدم الغفلة والنشاط الروحى والفاعلية Activesm

وهو ما يطلق على كل عملية عقلية أو بيولوجية متوقفة على استخدام طاقة الكائن الحى وتمتاز بالتلقائية (٢).

وقد حث القرآن والسنة على اليقظة العقلية وعدم الغفلة ويتضح ذلك فى مثل قوله تعالى : « **أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم أولئك هم الغافلون لا جرم أنهم فى الآخرة هم الخاسرون** » (النحل : ١٠٨ - ١٠٩). وقال تعالى : « **وأنذرهم يوم**

---

(١) ارجع إلى محمد بهاء سليم «القرآن الكريم والسلوك الإنسانى» ص١١١ الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٧.

(٢) المعجم الفلسفى : تقديم د./ ابراهيم مدكور ص٢٠١ وانظر أيضاً : ألبرت أشفيتز : فلسفة الحضارة - ترجمة عن الألمانية د./ عبد الرحمن بدوى ص٢٣.

الحسرة إذ قضى الأمر وهم فى غفلة » (مريم ٣٩).

ووصف الله تعالى الغافلين بأنهم كالأنعام بل أضل منها فى قوله تعالى : « **أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون »** (الأعراف ١٧٩).

ويأمر الله عباده بعدم الغفلة ويدعوهم إلى اليقظة العقلية فى مثل قوله تعالى : « **ولا تكن من الغافلين »** (الأعراف ٥٠). ويشير الله تعالى إلى أن كثرة من الناس لا تتمتع باليقظة العقلية ويحيون فى غفلة قال تعالى : « **وإن كثيرا من الناس عن آياتنا غافلون »** (يونس ٩٢).

وقد تكون الغفلة عقلية أو قلبية وقد تكون غفلة حسية ناتجة عن ضعف الملاحظة. قال تعالى : « **ومن أظلم ممن ذكر بأيات ربه فأعرض عنها ونسى ما قدمت يداه إنا جعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفى آذانهم وقر وإن تدعوهم إلى الهدى فلن يهتدوا إذا أبدا »** (الكهف ٥٧).

وقد جعل الاسلام العقل اليقظ المستنير حكماً فى الدين والعقل السليم لا يتعارض مع الإيمان. قال تعالى : « **ومثل الذين كفروا كمثل الذى ينعق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء صم بكم عمى فهم لا يعقلون »** (البقرة : ١٧١).

ويفسر الشيخ محمد عبده هذه الآية بقوله «إن الآية صريحة فى أن التقليد بغير عقل ولا هداية هو شأن الكافرين وان المرء لا يكون مؤمناً إلا إذا عقل دينه وعرفه بنفسه حتى اقتنع به فمن رُبى على التسليم بغير عقل والعمل ولو صالحاً بغير فقه فهو يعتبر غير مؤمن إذ ليس القصد من الإيمان أن يُذلل الانسان للخير كما يُذلل الحيوان بل القصد منه أن يرتقى [illegible] وترتقى نفسه بالعلم فيعمل الخير لأنه يفقه أنه الخير النافع المرضى لله وي[illegible] الشر لأنه يعلم سوء عاقبته ودرجة مضرته[1].

وقد جمع الاسلام بين الدعوة إلى القيم الأخلاقية العليا والمبادىء الانسانية السامية فى الوقت الذى بنى فيه الإيمان الدينى على اليقظة العقلية والنظر العقلى والتنبه وعدم الغفلة.

---

(١) د./ توفيق الطويل : الحضارة الاسلامية والحضارة الغربية ص٨٩.

٩ - التسليم بوجود سنن أو قوانين كونية ثابتة مع عدم الربط الضرورى والحتمى بين الاسباب والمسببات.

يؤكد الاسلام أن هناك سنن كونية تجرى بمقتضاها الأمور أو قوانين تحكم العالم وأن هذه السنن ثابتة أو هذه الكيفية التى أوجد الله العالم عليها لا تتغير ولا تتبدل إلا إذا شاء الله ذلك فقد جعل الله الكون بما فيه من موجودات حية وغير حية على أنظمة محددة ومقننة ومقدرة تقديراً كمياً وكيفياً.

ومن الآيات التى توضح أن سنة الله فى خلقه ثابتة لا تتغير قوله تعالى : « **ولاتجد لسنتنا تحويلا** » (سورة الإسراء ٧٧). وقال تعالى : « **ولن تجد لسنة الله تبديلا** » (الأحزاب آية ٨٢). وسنة الله أى عادته فى خلقه أو النظام الذى أوجد عليه مخلوقاته(١).

هذا النظام العام موجود فى كل جزئية من جزئيات الكون فى جميع الكائنات والموجودات بشكل ثابت بحيث إذا حدث أى إختلال فى هذا النظام فيكون هذا الإختلال سبباً فى فناء هذا الكائن وعلى سبيل المثال إذا حدث خلل فى عدد ضربات قلب الإنسان زيادة أو نقصاً أو ضغط دمه هبوطاً أو ارتفاعاً فإن فى ذلك خطورة على حياته وكلما زادت نسبة الخلل فى النظام الذى أوجده الله كلما تعرضت حياته للخطر بشكل أوضح مما قد يودى إلى فنائه هكذا الحال فى كل شيء وهذا مثل بسيط على السنن الكونية التى فطر الله عليها مخلوقاته المختلفة وليس هذه السنن تقتصر على الأمور المادية وإنما تمتد لتشمل الأمور الأخلاقية والمعنوية ولولا هذا النظام الثابت لعجز العلم عن سن القوانين العلمية التى تحكم المادة ولهذا ارتبط البحث فى المعرفة الانسانية قديماً بالبحث فى العلل والاسباب كما ارتبط البحث فى العلم وظواهره قديماً بالبحث فى الاسباب أيضاً. ولعل ذلك كان واضحاً فى طريقة البرهنة على تعميمات العلم عند ارسطو فلو أردنا مثلاً على كل حديد يتمدد بالحرارة بالطريقة القياسية الأرسطية فإننا نقول أن السبب فى تمدد الحديد بالحرارة هى كونه معدناً وإن كل المعادن تتمدد بالحرارة. وهكذا فالبرهان على تعميمات العلم عند ارسطو كانت

---

(١) ابن كثير : تفسير القران العظيم ص٤ ص ١٩٤ الناشر الدار المصرية اللبنانية.

عن طريق معرفة الأسباب التى هى عنده الحدود الوسطى فى القياس. كما أقام كل من فرنسيس بيكون وچون استيورد مل منهجهما العلمى على فكرة العلية أو السببية فجعلا التعميمات العلمية وكذا القوانين العلمية قائمة على فكرة السببية (١).

وقد واجهت فكرة السببية نقد الباحثين والعلماء مع تقدم العلم واحلوا محلها فكرة القانون العلمى الذى يجيب على سؤال يبدأ «بكيف» "How" بدلاً من السؤال التقليدى الذى كان يبدأ بـ«لماذا» "Why" ولم تعد فكرة السببية وخاصة معنى الضرورة فيها تروق للمعاصرين من المفكرين مثل رسل الذى ذهب إلى أن كلمة سبب "Cause" لا ترد أبداً فى الفيزياء (٢) الذى لم يعد تبحث فى الاسباب أو العلل أبداً وإذا كان الله سبحانه وتعالى قد حدثنا عن السنن التى خلقها فى الكون والتى تتصف بالثبات والاستقرار والتى إذا تحولت أو تغيرت فنى الشىء أو فسد فإنه سبحانه قادر على أن يخرق هذه السنن أو القوانين إذا شاء ذلك. قال تعالى فى سيدنا ابراهيم: « **قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين قلنا يانار كونى بردا وسلاما على ابراهيم وأرادوا به كيدا فجعلناهم الأخسرين** » (سورة الأنبياء من ٦٨ – ٧٠).

يقول ابن كثير فى تفسير هذه الآيات «جمع الكفار الحطب الكثير ثم جعلوه فى حومة من الأرض واضرموها ناراً فكان لها شرر ولهب عظيم مرتفع وجعلوا ابراهيم عليه السلام فى كفة المنجنيق بإشارة رجل من أعراب فارس من الأكراد اسمه هزان والقى ابراهيم فى النار بعد أن ربطوه بالحبال فلم تحرق النار إلا وثاقة بعد أن أمرها الله أن تكون برداً وسلاماً على ابراهيم فلم تضره وأصبح ولم يصبه منها شىء» (٣). وهكذا أبطل الله هذه السنة الكونية وسلب النار خاصية الأحراق.

ومن أمثلة ذلك أيضاً قوله تعالى عن سيدنا زكريا عليه السلام : « **قال رب أنى يكون لى غلام وكانت أمرأتى عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيا قال كذلك قال ربك هو على هين وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا** » (سورة مريم ٨،٩).

---

(١) د./ عزمى اسلام. لغة العلوم الفيزيائية والرياضية ص٢١٥ الطبعة الأولى – القاهرة ١٩٧٧م وانظر أيضاً Russel, B.Mysticiam and logic P. 180 .

(٢) المرجع السابق نفس الصفحة

(٣) تفسير القرآن العظيم جـ٣ ص ١٧٩.

وفى هذه الآيات يتعجب زكريا عليه السلام حينما بشره ربه بالولد ففرح فرحاً شديداً وسأل عن كيفية ما يولد له والوجه الذى يأتيه منه الولد مع أن امرأته كانت عاقراً لم تلد من أول عمرها ومع كبرها ومع أنه قد كبر وعتا يعنى نحل عظمه ولم يبقى لقاح ولا جماع غير أن الله تعالى أجابه « **كذلك قال ربك هو على هين** » أى إيجاد الولد منك ومن زوجتك هذه لا من غيرها «هين» أى يسير وسهل على الله ثم ذكر له ما هو أعجب مما سأل عنه فقال : « **وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا** » (١).

ولا عجب أن يخرق الله السنن والقوانين التى جعل الكون وما فيه عليها فهو سبحانه فعال لما يريد وإذا أراد شيئاً فإنما يقول له كن فيكون فإرادته هى التى جعلت تلك القوانين لا تتغير ولا تتبدل إلا بإذن الله الذى خلقها والذى يتحكم فيها ويسيرها ومعجزات الأنبياء والرسل ما هى إلا خرقاً للقوانين والسنن الكونية وقد جعلها الله دليلاً على صدق دعواهم لمخالفتها لطبيعة الأشياء وهذا استثناء أما القاعدة المألوفة هى أن فى الكون نوع من النظام وهذا النظام على درجة عالية من الثبات وهذا فضل من الله حتى يتمكن العلماء من سن القوانين العلمية التى يجب أن تتمتع بقدر كبير من الثبات مع إعطاء الفرصة للتقدم العلمى والتطور الذى لا حدود له ومن هنا حلت فكرة الإحتمالات محل فكرة الضرورة فى القوانين قال تعالى : « **وقل رب زدنى علما** » (طه آية ١١٤). وقال تعالى : « **وفوق كل ذى علم عليم** » (يوسف ٧٦).

وفى رأيى أن الذى يؤدى إلى عدم ثبات قوانين العلم ودوام تطورها هو أنها لم تصل إلى الحقيقة الكاملة فإذا وضع العلم يده على الحقيقة الكونية كاملة فإنها تصير ثابتة لا تتغير فالعلماء يجتهدون فى بحثهم عن السنن الكونية ومعرفة طبيعة الاشياء على حقيقتها فإذا تم لهم ذلك صار القانون ثابتاً لأنه أصبح صادقاً وعلى درجة عالية من اليقين لأنه يصف ماهو كائن بالفعل وصفاً دقيقاً معبراً عن الحقيقة الواقعة كاملة وليس جزء من الحقيقة مثال ذلك أن العلم قد اثبت بما لا يدع مجالاً للشك أن الأرض كروية وأنها منبعجة من الأطراف وأنها تدور حول نفسها وتدور حول الشمس وقد تأكدت هذه الحقيقة بعد أن ارتاد العلماء الفضاء ورأوا الأرض على هذا النحو فوقفوا

---

(١) ابن كثير : لتفسير القرآن العظيم جـ٢ ص ١١١٠.

على حقيقة شكلها ودورانها بما لا يدع مجالاً للشك أو الاحتمال وأصبحت هذه حقيقة علمية مطلقة وسنة كونية ثابتة لا تتغير ولا تتبدل.

فالسنن الكونية ثابتة والذى يتغير هو القوانين التى تحاول الوقوف على حقيقة هذه السنن فإذا ما نجح العلم فى معرفة الحقيقة كاملة فإنها تصير قانوناً ثابتاً.

١٠ - الاعتماد على الحجج المنطقية والبراهين العقلية والمشاهدة الحسية للدلالة على صدق قضية ما :

للدقة فى جمع الأدلة وعدم التسرع فى الوصول إلى القرارات أو القفز إلى النتائج والاحكام دون أدلة وبراهين Demonstations اعتمد القرآن الكريم على الحجج المنطقية والأدلة العقلية حينما أهتم بتقديم الآيات الدالة على صدق القضايا الإيمانية والعقائدية فقد فطر الله الإنسان على طلب الحجة والتمسك بالبراهين والأدلة العقلية والحسية حتى يؤمن بصدق الأحكام أو القضايا ويتأكد من صدقها وتتبدد شكوكه فقد جعله الله اكثر المخلوقات جدلاً ولذلك أيد الله تعالى رسله وأنبيائه بالمعجزات الدالة على صدقهم وصحة ما يدعون إليه وقد حرص سبحانه على أن تحمل آيات القرآن الكريم الدلالات العقلية والحسية حتى لا يكون للناس حجة.

قال تعالى : « **ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا** » (الأعراف من آية ١٠١). وقال تعالى : « **قد جاءتكم بينة من ربكم** » (الأعراف آية ٨٥). وقال تعالى : « **قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا إليكم نورا مبينا** » (النساء ١٧٤). وقال تعالى : « **اعبدوا الله ما لكم من إله غيره قد جاءتكم البينة من ربكم** » (الأعراف من آية ٧٣). وقال تعالى : « **كذلك نفصل الآيات ولتستبين سبيل المجرمين** » (الأنعام آية ٥٥).

ويحذر الله تعالى من يدعى قولاً دون أن يقدم البرهان والحجة على صدقه قال تعالى : « **ومن يدع مع الله إلها آخر لا برهان له به فإنما حسابه عند ربه** » (المؤمنون آية ١١٧). وقال تعالى : « **قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين** (النمل ٦٤).

ومن الآيات الكريمة التى تحمل الدليل الحسى أو المادى الذى يؤيد صدق القول ما جاء فى سورة المائدة على سبيل المثال فى قوله تعالى : « **إذ قال الحواريون يا عيسى ابن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء قال اتقوا الله إن كنتم مؤمنين**

قالوا نريد أن نأكل منها وتطمئن قلوبنا ونعلم أن قد صدقتنا ونكون عليها من الشاهدين قال عيسى ابن مريم اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا لأولنا وأخرنا وآية منك وارزقنا وأنت خير الرازقين قال الله إنى منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فإنى أعذبه عذابا لا أعذبه أحد من العالمين » (المائدة ١١٢ – ١١٥).

من الآيات السابقة يتضح كيف أن الله سبحانه وتعالى أهتم اهتماماً عظيماً بتقديم الدليل الحسى إلى جانب الدليل العقلى حتى يطمئن الناس ويقتنعوا ويؤمنوا بعد أن تتضح لهم البينة ويقدم لهم الدليل.

وكما أهتم الله سبحانه بتقديم الدليل الحسى والعقلى فإنه سبحانه يطالب بتقديم الدليل على صدق إدعاءات الكافرين فيأمر رسوله بأن يطلب منهم البرهنة على صدق أقوالهم لو كانوا صادقين.

وينبع اهتمام الإسلام بتقديم الحجج والبراهين العقلية والحسية من طبيعة المنهج الإسلامى الذى يهتم بتوضيح الأمور جلية ليكون الناس على بينة من أمرهم وذلك لغرضين أساسيين هما :

الأول : أن الله سبحانه وتعالى يريد أن يشبع حب الإنسان الفطرى فى طلب الدليل والبرهان على صدق الشيء قبل أن يسلم بصدقه ويؤمن بصحته. قال تعالى : « **وكان الإنسان أكثر شيء جدلا** » (الكهف آية ٥٤). وهذا احترام من الله لعقلية الانسان التى فطرها سبحانه وتعالى على ألا تسلم بفكرة إلا إذا قام الدليل على صدقها.

والثانى : حتى لا يكون للناس على الله حجة فمن يؤمن يكون على بينة ومن يكفر يكون الله قد قدم له كل سبيل للتدليل على صدق القضايا الإيمانية وصحة العقيدة وبذلك يضعه الله تعالى فى موضع المسئولية تجاه كفره وأعماله السيئة. قال تعالى : « **ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حى عن بينة** » (الأنفال ٤٢). وقال تعالى : « **لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل** » (النساء ١٦٥).

أما عن أنواع البراهين والإستدلالات التى وردت بالقرآن الكريم فهذا ما سيأتى بيانه فى الفصل الثانى.

١١ - الدعوة إلى الشمول والتكامل :

يتسم الفكر الإسلامي بالشمول والتكامل والعمومية ولا أدل على ذلك من أنه دين الناس كافة. قال تعالى : « وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا » (سبأ اية ٤٥). وتتمثل عمومية الاسلام وشموليته وتكامله في عدة جوانب نذكر منها :

أ) شمولية وتكامل المعرفة في الاسلام فالاسلام يدعو إلى معرفة متكاملة يتآزر فيها الحس والعقل والقلب والخبر المُنزل وهي وسائل المعرفة الخاصة بعالم الشهادة وعالم الغيب معاً. ولا يعول على الحسي فقط كمصدر للمعرفة كما فعل الحسيون أوالعقل وحده كما فعل العقليون وإنما جمع بين مصادر المعرفة المتعددة من حس وعقل وقلب وخبر منزل [١].

ب) وتتضح شمولية وتكامل الإسلام في ربطه بين الإلمام النظري بأصول العقيدة والشريعة من عبادات ومعاملات ثم التطبيق العملي لتلك المعرفة فلا تكفي المعرفة وحدها دون تطبيقها عملياً، ولا يكتمل العمل ويكون صحيحاً إلا بالمعرفة النظرية للتشريعات حتى لا يكون العمل أو التعبد عن جهل وهكذا ربط الإسلام بين النظر والعمل فكلاهما مكمل للآخر فالاسلام الصحيح يبنى على علم بالشريعة وعمل بها ولا يصح أحد الشقين بدون الآخر. ومن الايات الدالة على ربط الاسلام بين العلم والعمل قوله تعالى : « يرفع الله الذين امنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير » (سورة المجادلة آية ١١). ويتضح من هذه الآية الكريمة كيف أن الله تعاى يربط بين العلم الذى يرفع درجات المؤمنين عند ربهم. ويجعلهم في أعلى الدرجات لمكانتهم العلمية وهو سبحانه خبير بما يعمل هولاء العلماء فإن عملوا خيراً بعلمهم كمل عملهم وصاروافي أعظم الدرجات [٢].

كذلك السنة المطهرة ربطت بين العلم والعمل من ذلك على سبيل المثال لا الحصر قول رسول الله ﷺ : « المنافق يعلم القرآن ولا يعمل به »[٣]. وقال ابن مسعود

---

(١) لمعرفة المزيد عن تكامل المعرفة في الاسلام ارجع إلى د./ كوكب عامر معرفة الله والطريق إليها بحث نشر في حولية كلية البنات العدد ١٣ سنة ١٩٨٨.

(٢) ارجع إلى د./ فوقية حسين محمود – مدخل إلى الفلسفة الإسلامية.

(٣) عماد الدين على المتقى بن حسام : كنز العمال في الأقوال والأفعال جـ١ ص٣٦ ** (المرجع السابق نفس الصفحة)

«كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن والعمل بهن»(١). وقال عبد الرحمن السلمى : «كانوا إذا تعلموا عشر آيات لم يخلفوها حتى يعملوا بما فيها فتعلمنا القرآن والعمل معاً» (٢).

وقال (ﷺ) فى الربط بين العلم أو الايمان النظرى والعمل «الإيمان والعمل أخوان شريكان لا يقبل الله أحدهما إلا بصاحب» (٣).

ج) وتتضح شمولية الاسلام وتكامله فى ربطه بين عمل الانسان فى الحياة الدنيا وبين الجزاء فى الآخرة (٤). فإذا حسنت أعماله فى الدنيا نال ثواب الآخرة وتنعم فى الجنة والعكس صحيح فمن اكثر من الأعمال السيئة وكفر بربه له عقاب الآخرة. وبذلك كانت الرابطة وثيقة بين الدين والدنيا فى الاسلام وبين الدنيا والآخرة. ومن الآيات الدالة على اهتمام الاسلام بالحياة الدنيا والآخرة معاً قوله تعالى : « **وماذا عليهم لو أمنوا بالله واليوم الآخر وانفقوا مما رزقهم الله وكان الله بهم عليما** » (سورة النساء آية ٣٩).

فى هذه الآية الكريمة يذم الله الذين لا يجمعون بين الاهتمام بالحياة الدنيا والآخرة فى نفس الوقت فأى شىء يضيرهم لو آمنوا بالله وسلكوا الطريق المستقيم الذى رسمه الله لهم وامنوا باليوم الآخر وانفقوا فى حياتهم الدنيا مما رزقهم الله فى وجوه الخير التى يحبها الله لينالوا ثواب الآخرة والله عليم بهم وبما يعملون ومن يعص الله فقد خسر الدنيا والآخرة (٥).

وقال تعالى : « **وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا** » (القصص آية ٧٧). وقال تعالى : « **فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة** » (آل عمران ١٤٨).

د) وتظهر شمولية وتكامل الاسلام فى ربطه بين القول والفعل فلا يجوز أن يقول الانسان مالايفعل. بل عليه أن يلتزم عملياً بما يقول. قال تعالى : « **يا أيها الذين**

---

(١) انظر علاء الدين على المتقى : كنز العمال فى الأقوال والأفعال جـ١ ص٢٦٧ وأنظر ايضاً تفسير ابن كثير جـ١ ص٣.
(٢) المرجع السابق جـ١ ص٤٧١ الطبعة الأولى - الدار المصرية اللبنانية.
(٣) لمعرفة المزيد عن علاقة العلم والعمل فى الإسلام ارجع إلى د./ سهير فضل الله أبو وافية : فلسفة العمل فى الاسلام وانظر أيضاً : ابن تيمية : مقدمة فى أصول التفسير ص٦.
(٤) المرجع السابق نفس الصفحة وما بعدها.
(٥) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم جـ١ ص٤٧١ الطبعة الأولى الدار المصرية اللبنانية للنشر.

أمنوا لم تقولون مالا تفعلون كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالا تفعلون ». (الصف آية ٢،٣). وقال رسول الله ﷺ : «إن الله لا يرضى فعل عبد حتى يرضى قوله» (١).
وقال ﷺ : «تُمثل القرآن يوم القيامة رجلاً فيُؤتى بالرجل قد حمله فما نفذ أمره (أي ما عمل بما فيه) فيتمثل له خصماً فيقول : يارب حَمَّلتهُ إياى فبئس حاملى، تعدى حدودى، وضيع فرائضى، وركب معصيتى، وترك طاعتى، فما يزال يقف عليه بالحجج حتى منخره فى النار، ويؤتى بالرجل الصالح قد كان حمله وحفظ أمره فيتمثل له خصماً دونه فيقول : يارب حملته إياى فحفظ حدودى وعمل بفرائضى واجتنب معصيتى واتبع طاعتى فما يزال يقذف له بالحجج حتى يقال له شأنك به فما يرسله حتى يلبسه حلة الاستبرق ويقعد عليه تاج الملك ويسقيه كأس الخمر» (٢). والخمر فى الجنة شراب لذيذ ليس له مضاعفات ومضار الخمر المعروف فى الدنيا.

هـ) كذلك تتضح شمولية الفكر الإسلامى وتكامله من إهتمامه بالحياة المادية إلى جانب الحياة الروحية معاً إلى جانب الناحية العقلية التى سبق الحديث عنها فالإنسان جسم وعقل ونفس وهذا الشمول والتكامل بين تلك النواحى يبدو واضحاً فى العبادات والمعاملات. فالعبادات التى يُأديها المؤمن، من صلاة وصوم وحج وزكاة وغيرها هى الممارسات العملية للعبادات يشترك فيها الجسم مع الروح والعقل فعلى المصلى مثلاً أن يقوم بحركات بدنية من سجود وركوع وجلوس للتشهد ويتلو القرآن وهو فى كل هذا لابد أن يكون مع الله بعقله وروحه ولا يؤدى صلاته وهو غافل عن الله فهى ليست مجرد حركات بدنية يؤديها وعليه أيضاً أن يعرف مغزى هذه العبادة والهدف منها فلكل عبادة جوانبها التى يجب على المؤد لها أن يأخذها فى حسبانه فهى تنير العقل وترقق القلب وتهذب السلوك وتسمو بالنفس والأخلاق وإلا أصبحت العبادات عملاً خالياً من المعنى لا جدوى منه. قال تعالى : « **إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر والبغى** » (العنكبوت آية ٤٥). كما أنه ليس للمسلم من صلاته إلا مايعقله بمعنى أن صلاة المسلم لا تحسب له ولاتكون صحيحة إلا إذا عقل ما يقول فيها وما يفعل. ولا ريب أن الدعوة إلى الشمول والتكامل التى اتسم بها الفكر الإسلامى من أهم سمات الفكر السليم.

---

(١) عماد الدين المتقى بن حسام : كنز العمال فى الأقوال والأفعال جـ١ ص٨٦.
(٢) المرجع السابق من نفس الصفحة

١٢ - تحريم الكهانة والسحر والشعوذة واستبعادها فى معالجة الأمور :

من سمات التفكير السليم ألا يقوم على الافكار الخرافية أو يعتمد على الشعوذة أو الكهانة واستخدام السحر والتنجيم وقراءة الطالع وغيرها من الأمور المشابهة، وقد حارب الاسلام الكهانة والشعوذة والسحر وحرم استخدامها حتى لا يبنى الناس افكارهم واعتقاداتهم على الأوهام والخرافات المضللة.

ومن أمثلة الآيات القرآنية التى تحارب السحر قوله تعالى : « **أسحر هذا ولا يفلح الساحرون** » (سورة يونس اية ٧٧). وقال تعالى : « **إنا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما اكرهتنا عليه من السحر** » (طه ٧٣) وفى هذه الآية الأخيرة السحر يوازى الخطيئة. وقال تعالى : « **إنما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتى** » (طه آية ٢٠). وقال تعالى : « **يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت** » (البقرة آية ١٠٢). ويؤكد الله سبحانه وتعالى أن محمداً (ص) ليس بساحر وليس بكاهن لأن الكهنة والسحرة لا يصدقون بينما هو صادق فى تبليغه عن ربه. قال تعالى عن القرآن الكريم : « **ولا بقول كاهن**[1] **قليلا ماتذكرون** » (الحاقة : ٤٢). وقال تعالى لرسوله محمد (ص) : « **فذكر فما أنت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون** » (الطور : ٢٩).

وقد أجمع الفقهاء على تحريم السحر والكهانة والعرافة استناداً إلى ما جاء فى الكتاب والسنة. وقد روى مسلم والإمام أحمد عن صفية بنت أبى عبيد عن بعض أزواج النبى صلى الله عليه وسلم عن النبى (ص) قال : «من أتى عرافاً فسأله عن شىء لم يُقبل له صلاة أربعين ليلة»[2].

وروى عن الامام أحمد فى مسنده عن أبى هريرة عن النبى (ص) قال : «من أتى عرافاً أو كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد»[3].

---

(١) الكاهن هو من يأتيه جنى يخبره ببعض المغيبات – أحمد محمد فريد فهمى : المصحف المفسر ص٧٦٤.

(٢) على بن محمد بن ابى العز شرح الصحاوية فى العقيدة السلفية ص٢٤١.

(٣) المرجع السابق نفس الصفحة .

وتلك أمثلة على تحريم القرآن والسنة اللجوء إلى التفكير الخرافي والشعوذة والسحر والكهانة وما شاكلها من أمور بعيدة كل البعد عن التفكير السليم وتلك سمة من أهم سمات الفكر الصحيح.

١٣ - الصبر والمثابرة من أجل الوصول إلى الحقيقة :

إن عدم التسرع في استنباط الاحكام يمكن من بذل الجهد بإرادة قوية والتسامح وسعة الصدر ويدعو الله سبحانه وتعالى عباده المخلصين إلى التحلي بالصبر في بحثهم عن الحقيقة ويأمرهم بعدم التسرع في استناط الأحكام واصدارها ويحثهم على سعة الصدر والتسامح وبذلك الجهد حتى لا يقعوا في الخطأ ويجانبهم الصواب. ومن الآيات الدالة على ذلك قوله تعالى : « **فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل ولا تستعجل** » (الاحقاف : ٣٥). وقال تعالى : « **قل كل متربص فتربصوا فستعلمون من أصحاب الصراط السوى ومن أهدى** » (طه : ١٣٥). وقال تعالى : « **فاصبر إن وعد الله حق ولا يستخفنك الذين لا يوقنون** » (الروم :٦٠). وقال تعالى يحث المؤمنين على الصبر : « **فاصبروا و صابروا ورابطوا واتقوا الله** » (آل عمران : ٢٠٠).

وحكى سبحانه وتعالى عن نبيه موسى عليه السلام عندما التقى بالخضر وهو من العارفين بالله : « **قال له موسى هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشدا. قال إنك لن تستطيع معى صبرا وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا قال ستجدني إن شاء الله صابرا ولا أعصى لك أمرا** » (الكهف : ٦٦ - ٦٩). وقال تعالى لرسوله محمد (ص) : « **إنه لقول فصل وما هو بالهزل إنهم يكيدون كيدا وأكيد كيدا فمهل الكافرين أمهلهم رويدا** » (الطارق:١٣-١٧).

ولا ريب أن الصبر والمثابرة وعدم التسرع في اصدار الاحكام والتروى في الوصول إلى الحقائق يعد من أهم سمات التفكير العلمي السليم خاصة وأن علماء النفس يذهبون إلى أن الانسان كثيراً ما يضطر إلى البت في الأمر قبل استعراض جميع النواحي خوفاً من فوات الفرصة ويبدو ذلك واضحاً عندما تكون الظروف والعوامل المحيطة تقتضي الاختيار السريع مما يجعله يقفز إلى النتائج قفزاً وهذا

يعرضه للوقوع فى الأخطاء (١). أو قد يعتمد المرء على ذكائه وقوة فراسته مما يجعله يتسرع فى استخلاص الأحكام (٢).

١٤ - الجدل والمحاورة بالحسنى مع احترام الرأى الآخر :

الدعوة إلى الحق والموعظة الحسنة من تعاليم الاسلام قرآن كانت أو سنة فهو يدعو إلى إلتزام آداب الحوار والمجادلة بالحسنة مع الخصم ومحاولة استمالته واقناعه بالحجج المنطقية باستخدام الألفاظ المهذبة.

قال تعالى : « **ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتى هى أحسن** » (العنكبوت : ٤٦). وقال تعالى : « **أدعو إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن** » (النحل : ١٢٥). وقال تعالى لسيدنا موسى وأخيه هارون عليهما السلام : « **إذهبا إلى فرعون إنه طغى فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى** » (طه : ٤٣ - ٤٤). وقال تعالى : « **ادفع بالتى هى أحسن** » (المؤمنون : ٩٦). وقال تعالى يوصى الرسول فى مجادلته لأهل الكتاب : « **قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا** » (آل عمران : ٦٤). وقال تعالى لرسوله محمد (ص) : « **فذكر إنما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر** » (الغاشية ٢١ : ٢٢). وقال تعالى لرسوله محمد (ص) أيضاً : « **ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك** » (آل عمران : ١٥٩).

١٥ - التزام الأمانة فى الأقوال والأفعال وفى جميع التصرفات :

جاء فى القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة أن الإلتزام بالأمانة ومراعاتها فى القول والفعل واجب اساسى مكلف به كل مسلم ومسلمة وهذه السمة من السمات الاساسية التى لابد من توافرها فى كل مفكر فإذا كان المفكر أميناً صدق قوله وصحت نتائجه ووصل إلى حقائق موضوعية منزهة عن كل غرض.

---

(١) د./ يوسف مراد : مبادىء علم النفس العام ط ٤ ص٣٧٥.

(٢) Yaussef Mourad : la physicgnomonie arabe et le kitab al - firâsa de Fakhr al - Din A - Razi. Paris, 1939.

ومن أمثلة الآيات القرآنية التى تحض على الإلتزام بالأمانة قوله تعالى : « **يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون** » (الأنفال : ٢٧). وقال تعالى : « **والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون** » (المؤمنون : ٨). وقال تعالى مخاطباً المؤمنين يأمرهم بأداء الأمانة : « **فإن آمن بعضكم بعضا فليؤد الذى أؤتمن أمانته** » (البقرة : ٢٨٣). وقال تعالى أيضاً : « **إنا الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها** » (النساء : ٥٨). وقال تعالى : « **يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين** » (التوبة ١١٩:)

ويلوم سبحانه وتعالى من يحرفون الحقائق ويزيفون الوقائع فى مثل قوله تعالى : « **فمن بدله بعد ما سمعه فإنما إثمه على الذين يبدلونه** » (البقرة : ١٨١). وقال تعالى أيضاً : « **من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه** » (النساء : ٤٦). وقال تعالى : « **وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه** » (البقرة : ٧٥). وقال تعالى محذراً من يكتم الحق ولايشهد به ويظهره : « **ولاتكتموا الشهادة ومن يكتمها فإنه آثم قلبه والله بما تعملون عليم** » (البقرة : ٢٨٣).

ويأمر الله سبحانه وتعالى القائمين على العدل والحكم أن يكونوا عادلين مقسطين حتى ولو كان عدلهم ضد مصلحة اقرب الناس إليهم أو هم أنفسهم فى قوله تعالى : « **يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين** » (النساء ١٣٥). وتعتبر الأمانة والصدق فى الأقوال والأفعال خاصية من أهم خصائص التفكير السليم.

١٦ - استخدام الخيال فى فرض الفروض و محاولة التحقق من صدقها عن طريق النظر العقلى المقترن بالمشاهد الحسية :

من سمات التفكير السليم أن يستخدم المفكر خياله فى وضع عدة فروض لتفسير ما غمض عليه من الظواهر الكونية ثم يبدأ فى التحقق من صدقها عن طريق المشاهدة الحسية والنظر العقلى المتعمق فيستبعد ما يثبت خطأه ويبقى على مايثبت صحته. وقد جاء فى القرآن الكريم دعوة صريحة من الله تعالى لاستخدام الخيال فى فرض الفروض والتأكد من صحتها للوصول إلى الحقيقة بعد استبعاد غير الصحيح منها ومن أمثلة ذلك قوله تعالى : « **وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السماوات والأرض وليكون من**

الموقنين. فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربى فلما أفل قال لا أحب الآفلين. فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربى فلما أفل قال لئن لم يهدنى ربى لأكونن من القوم الضالين فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربى هذا اكبر فلما آفلت قال يا قوم إنى برىء مما تشركون إنى وجهت وجهى للذى فطر السماوات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين » (الأنعام : ٧٥ - ٧٩).

فى هذه الآيات الكريمة يصور الله تعالى حال ابراهيم عليه السلام بعد أن تيقن أن ما يعبده قومه من الاصنام ليس هو الإله الحق فطاف ببصره فى السماء باحثاً عن الله فرأى كوكباً مضيئاً فافترض أن هذا الكوكب ربه. غير أنه ما لبث أن اختفى وهو يعلم بفطرته أن الله لابد أن يكون موجود دائماً ولايأفل أبداً فتأكد له أن هذا الفرض غير صحيح، ونظر ثانية إلى السماء فرأى القمر بازغاً فافترض أنه ربه وكان اكبر حجماً وأزهى ضوءاً من سابق إلا أنه ما لبث أن اختفى وهو يعلم بفطرته أن الله لابد أن يكون موجود دائماً ولا يأفل أبداً فتأكد له أن هذا الفرض غير صحيح فاستبعده. فلما رأى الشمس بازغة افترض أن تكون ربه وقد كانت اكبر حجماً واقوى نوراً غير أنها غربت وغابت عنه فتأكد من فساد فرضه بأنه إله. وهكذا ثبت له بالمشاهدة الحسية والنظر العقلى أن الاصنام العاجزة ليست بآلهة وأن الكواكب والقمر والشمس ليست بآلهة كذلك لأنها تأفل والله يجب أن يكون حاضراً دوماً فقال : « **إنى وجهت وجهى للذى فطر السماوات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين** » (الانعام :٧٩) أى أخلصت دينى وأفردت عبادتى للذى خلق السماوات والأرض وابتدعهما على غيرمثال سابق «حنيفاً» أى فى حال كونى حنيفاً أى مائلاً عن الشرك إلى التوحيد (١).

وهكذا نستطيع أن نستنتج من كل ما سبق من أسانيد من القرآن والسنة أن الاسلام يدعو البشرية إلى الالتزام بسمات التفكير السليم والبعد عن التقليد الأعمى والخرافات والبحث عن الحقيقة بصبر ومثابرة وعدم التسليم بشىء إلا إذا أثبتت الحجج والأدلة العقلية والحسية صدقة، وذلك للوصول إلى الحقائق الموضوعية كما أن الاسلام قد وضع مناهج للبحث والفكر يلتزم بها من ينشد الحقيقة المجردة وهذا هو موضوع الفصل الثانى الذين سنتبين فيه معاً المنهج فى القرآن والسنة.

---

(١) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم جـ٢ ص١٥٢.

الفصل الثانى

المنهج فى القرآن والسنة

الفصل الثانى

المنهج فى القرآن والسنة

١ – منهج الاستقراء

٢ – منهج القياس.

٣ – منهج الاستنباط

٤ – منهج توضح صدق قضية عن طريق ضرب الأمثلة.

٥ – منهج توضح الفكرة عن طريق تبسيطها أمام الذهن بتحليلها إلى عناصرها البسيطة.

٦ – منهج توضيح الالفاظ عن طريق تعريفها .

٧ – منهج الاستبطان الذاتى.

٨ – المنهج المقارن.

٩ – منهج توليد المعانى.

١٠ – منهج اثبات صدق قضية عن طريق صدق التنبؤات التى تحمها .

١١ – منهج الكشف القلبى.

١٢ – المنهج التاريخى أو الا[illegible]دادى.

١٣ – الكم فى القرآن والسنة.

١٤ – منهج الجدل.

الفصل الثانى

المنهج فى القرآن والسنة

زود الله سبحانه وتعالى الانسان بجهاز عصبى راق استطاع بواسطته أن يكون له خاصية فريدة تميزه عن غيره من المخلوقات وهى القدرة على الإدراك الواعي والتفكير المستنير واستقراء الجزئيات للوصول إلى الأحكام الكلية واستنتاط الافكار المركبة من الافكار البسيطة وغيرها من العمليات العقلية التى تتطلب قدرات خاصة لا تتوفر إلا للانسان الذى جعله الله سيد الخليقة وأمر الملائكة والجن أن يسجدوا له احتراماً وتبجيلاً لقدراته الخلاقة التى وهبه الله إياها.

وقد استوعب الانسان التخاطب اللغوى بالكلام المنطوق واخترع الكتابة وأقام الحضارات وساعده على ذلك شدة طموحه وحبه لاكتشاف المجهول ورغبته فى السيطرة على البيئة وتجنب الصعاب وشغفه بتحصيل المعرفة.

وقد جبل الله الانسان على حب الجدل وطلب الدليل الحسى والعقلى فى سعيه للوصول إلى الحقائق واكتشاف الكون من حوله وذلك منذ طفولته يعمل على تحصيل المعرفة وكشف ما هو مجهول له.

إن الكتب المقدسة والأديان القديمة تشير إلى جوانب عديدة من التفكير الذى يتطلب اكتساب الخبرة التجريبية الحسية والاستدلال المنطقى والقرآن الكريم وهو آخر الكتب السماوية والذى يحمل خاتم رسالات السماء يتضمن بشكل لا يرقى إليه شك أصول المبادىء المنهجية العلمية فى البحث والتفكير استمدها العلماء المسلمون فدونوا فى مؤلفاتهم وصفاً دقيقاً لها واعتمدوها فى بحوثهم (١).

(١) ارجع إلى د./ أحمد سليمان عوده، د./ فهمى فتحى مكاوى: اساسيات البحث العلمى فى التربية والعلوم الانسانية من ص٢٥ – ٢٨.

والمنهج فى القرآن يقوم على استعمال العقل والحس وظاهرات الطبيعة واسرار الكون وقوانينه فالقرآن يحمل اسس ومبادىء المنهج الاستقرائى والمنهج الاستدلالى وهو غنى بالحوار والجدل بأنواعه واساليبه المختلفة بصبر طويل وصدر رحب لقبول الاعتراضات والرد عليها فى هدوء بالمنطق السليم والبرهان القويم ليرضى طموح العقل الفطرى لمعرفة الحقيقة وإثباتها بأكثر من دليل.

ويعرف المنهج بأنه الطريق الذى يؤدى إلى الحقائق بواسطة مجموعة من القواعد العامة التى تهيمن على سير العقل وتحدد عملياته حتى يصل إلى نتيجة معلومة أو يبرهن على صدق حقيقة من الحقائق (١).

والقرآن الكريم والسنة المطهرة يحملان أنواع شتى من المناهج التى سنتبينها معاً (٢).

ومما لا ريب فيه أن الاسلام بما يحمله من اسس ومناهج للتفكير السليم قد احدث ثورة فكرية فى الفكر العربى الذى كان يخيم عليه الجهل والخرافة والسحر والكهانة حينما أمر الناس كافة بترك عبادة ما دون الله وإفراد العبادة والتوحيد له تعالى وحينما حثهم على النظر العقلى والتفكر فى الكون ودقة الملاحظة والبحث عن الحقيقة دون كلل أو ملل والانفلات من القديم وعدم التقليد الأعمى بغيروعى وعدم التسليم بشىء إلا إذا ثبت صدقه بالدليل والبرهان وطرح الهوى محاربتهم الخرافة والسحر والشعوذة وحثهم على طلب العلم وتقديرهم لأهله وطالبه بإقرار الحرية والمساواه بين الناس واحترامهم حقوق الانسان ونشر العدل ومناصرتهم للحق والصدق فى الأقوال والأفعال كل ذلك وغيره من مبادىء الإسلام أزاح ستار الغفلة والجهالة عن عقول الناس (٣). وأنار بصائرهم وحببهم فى طلب الحقيقة لذاتها ووضع مناهج واسس

---

(١) د./ عبد الرحمن بدوى : مناهج البحث العلمى ص٥ دار النهضة العربية ١٩٦٣.

(٢) تتمثل أشيع المناهج فى صورتين من صور الاستدلال. أولهما : منهج الاستنباط الصورى، وهو منهج العلوم الرياضية – وثانيهما : تتمثل فى منهج الاستقراء التجريبى وهومنهج العلوم الطبيعية الواقعية – ويتفرع أولهما إلى قياس ارسطو وهو الاستنباط الصورى – ثم الاستنباط الرياضى – انظر د./توفيق الطويل : اسس الفلسفة – دار النهضة القومية ص١٤١.

(٣) انظر : Brockelnan : History of Islam Peoples· London 1949.

للتفكير السليم ومن يتأمل القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة يقف على المناهج التى يزخرا بها فيجدها متعددة شاملة تصلح لكل الناس فى كل مكان وكل زمان وسنتبين معاً هذه المناهج ويصور الله تعالى أهمية المنهج فى قوله تعالى : « **أفمن يمشى مكبا على وجهه أهدى أمن يمشى سويا على صراط مستقيم** » (الملك : ٢٢).

ا - **منهج الاستقراء** "Induction method" :

ويسمى حديثاً المنهج الفرضى "Hypothetical" العلمى "Scientific" وهذا المنهج القائم على استقصاء الحقائق من التجربة الحسية وملاحظة الواقع ملاحظة دقيقة والمشاهدة اليقظة للظواهر كما هى دون تعديل أو تغيير للوصول إلى حقائق أو قوانين علمية ويأتى المنهج الاستقرائى فى خطوات تبدأ بملاحظة الظواهر الطبيعية ملاحظة دقيقة "Obserevation" ثم وضع الفروض "Hypothsesis" لتفسير ظاهرة ما ثم التحقق من صــدق أحد الفروض عن طريق التجربة المعملية Experiment والملاحظة.

وإذا ثبت صدق احد الفروض عن طريق التجربة صار قانوناً علمياً. وهذا القانون إنما يجىء ليربط الحقائق الجزئية بعضها ببعض بروابط ثابتة غير عرضية ومتى عُرف القانون أمكن التنبؤ بوقوع الظواهر مقدماً (١).

فالاستقراء اذن يراد به فحص مجموعة من الظواهر الحسية ابتغاء الكشف عن عللها عن طريق وصفها وتقرير حالتها وفقاً للواقع الملموس وهو يقوم على قانون العلية العامة "Law of universal causation" اعتقاداً أن الظواهر الطبيعية تجرى على سنن ثابتة ونسق لا يتغير ،تتميز القوانين الطبيعية أو القضايا التى يصل إليها الباحث عن طريق الاستقراء بأنها وصفية تقرر حالة الظواهر كما هى فى الواقع (٢).

---

(١) انظر د./ عزمى إسلام، مقدمة لفلسفة العلوم (الفيزيائية والرياضية) الطبعة الأولى ص٤٦ مكتبة سعيد رأفت - جامعة عين شمس ١٩٧٧.

(٢) انظر د./ توفيق الطويل : أسس الفلسفة ص١٦٤، ١٦٥ وانظر أيضاً د./ محمد زيدان عمر : البحث العلمى ومناهجه وتقنياته ص٢٧ الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٤.

وقد جاء فى القرآن الكريم ايات كثيرة توضح أهمية الملاحظة الدقيقة لما يجرى حولنا من الظواهر الكونية الحسية واثبات صدق القضايا المختلفة عن طريق الاستقراء الذى يعتمد على التجربة الحسية الواقعية وليست التجربة المعملية كما هو الحال فى التجربة العلمية وهى تجارب واقعية تتضمن روح المنهج الاستقرائى فى إتخاذ التجربة الحسية محكاً للصدق وفى اعتمادها على الواقع المشاهد الملموس.

ومن أمثلة ذلك فى القرآنالكريم ماحدث فى قصة سيدنا موسى عليه السلام عندما ذهب إلى فرعون طالباً منه الايمان بالله الواحد خالق كل شىء فسأله فرعون أن يأتى بدليل على صدق ما ادعى وجمع الناس من كل أنحاء مصر ليشاهدوا ما يجرى عملياً لإثبات صدق أو كذب دعوة موسى عليه السلام. قال تعالى : « **وقال موسى يا فرعون إنى رسول رب العالمين حقيق على أن لا أقول إلا الحق قد جئتكم ببينة من ربكم فارسل معى بنى اسرائيل قال إن كنت جئت بآية فأت بها إن كنت من الصادقين فألقى عصاه فإذا هى ثعبان مبين ونزع يده فإذا هى بيضاء للناظرين. قال الملأ من قوم فرعون إن هذا لساحر عليم يريد أن يخرجكم من أرضكم فماذا تأمرون قالوا أرجه وأخاه وأرسل فى المدائن حاشرين يأتوك بكل ساحر عليم. وجاء السحرة فرعون** » (الأعراف : ١٠٤ – ١١٣) . **قالوا يا موسى إما أن تلقى وإما أن نكون نحن الملقين قال القوا فلما ألقوا سحروا أعين الناس واسترهبوهم وجاءوا بسحر عظيم وأوحينا إلى موسى أن ألق عصاك فإذا هى تلقف ما يأفكون فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون** » (الأعراف : ١١٥ – ١١٨).

يصور القرآن هذاالمشهد الذى قدم فيه رسول الله موسى عليه السلام الدليل العملى على صدق دعواه ويصور الله تعالى نفس المشهد فى قوله تعالى : « **فأجمعوا كيدكم ثم أئتوا صفا وقد أفلح اليوم من استعلى. قالوا ياموسى إما أن تلقى وإما أن نكون أول من ألقى. قال بل القوا فإذا حبالهم وعصيهم يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى فأوجس فى نفسه خيفة موسى قلنا لا تخف إنك أنت الأعلى، والق ما فى يمينك تلقف ما صنعوا إنما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتى فالقى السحرة سجدا قالوا أمنا برب هارون وموسى** » (طه : ٦٤ – ٧٠)

وبهذه التجربة الحسية الواقعية أثبت الله تعالى دعوة سيدنا موسى عليه السلام وواضح أن هذه التجربة تحمل فى باطنها فرضين قد ثبت صدق أحدهما وكذب الآخر.

الفرض الأول أن موسى عليه السلام على حق فى دعوته. والثانى أنه كاذب فيما ادعى - وقد استطاع إثبات صدقه ومكنه الله من عمل معجزة خارقة للعادة مستخدماً فى ذلك أداة حسية وهى العصاه وامام انظار الحاضرين وعلى مشهد منهم أثبت أنه مرسل من عند الله الذى أيده بتلك المعجزة التى ذهبت بعقول الحاضرين وادهشت السحرة - وهى انقلاب العصاه ثعباناً يسعى مما جعل السحرة يؤمنون بما جاء به.

وقد قدم الله سبحانه وتعالى آية ودليلاً عملياً على صدق رسوله موسى عليه السلام حينما شق البحر طريقاً له ولقومه ثم بعد عبوره هرباً من فرعون وجنوده حاول فرعون ومن معه ملاحقة موسى عليه السلام للفتك به فأقدموا على عبور البحر كما فعل موسى عليه السلام وقومه غير أن الله أثبت لفرعون للمرة الثانية بالتجربة العملية أن موسى قد جاء بالحق من ربه قال تعالى : « **وإذ فرقنا بكم البحر فأنجيناكم وأغرقنا آل فرعون وأنتم تنظرون** » (البقرة : ٥٠). ولذا فقد آمن فرعون وجنوده بصدق سيدنا موسى عليه السلام ولكن بعد فوات الأوان وكان إيمانهم هذا نتيجة لما شاهدوه بأنفسهم من انشقاق البحر. وهذا هو منهج الاستقراء القائم على المشاهدة الحسية ثم إجراء التجارب العملية للوصول إلى حقائق تؤيدها التجربة الحسية الملموسة. كذلك فعل سبحانه وتعالى بقوم سيدنا نوح عليه السلام حينما أثبت للكافرين من قومه بالدليل العملى والتجربة الحسية صدق دعوة نوح عليه السلام فأنجاه ومن معه من المؤمنين وأغرق من دونهم من الكافرين قال تعالى : « **قال رب إن قومى كذبون فافتح بينى وبينهم فتحا ونجنى ومن معى من المؤمنين فانجيناه ومن معه فى الفلك المشحون ثم أغرقنا بعد الباقين إن فى ذلك لأية وما كان أكثرهم مؤمنين** » (الشعراء : ١١٧ - ١٢١).

والمنهج التجريبى هنا لا يحتاج إلى شرح وتوضيح كذلك قوله تعالى : « **إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب** » (الحج : ٧٣). وفى هذه الآية الكريمة الزام للخصم بما يعترف به مما هو مشاهد والله سبحانه وتعالى يكشف للكافرين عجزهم وعجز ما يعبدون من دون الله فيطلب منهم أن يثبتوا بالدليل المادى التجريبى أن هؤلاء الهة يقدرون على الخلق لأن من أهم سمات الله أن يكون خالقاً فطلب الله إليهم أن يخلقوا ذباباً وهو من أنواع المخلوقات الضعيفة وأكد لهم عجزهم عن أن يستردوا من الذباب

شيئاً قد سلبهم إياه وبذلك أثبت لهم الله تعالى كذب ادعائهم أن ما يعبدون آلهه قادرة على الخلق واثبت لهم أنها مخلوقات عاجزة لاحول لها ولا قوة، ويقول الله تعالى فى آية أخرى تحمل نفس المنهج : « **أو كالذى مر على قرية وهى خاوية على عروشها قال أنى يحيى هذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يوم أو بعض يوم قال بل لبثت مائة عام. فانظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنه وانظر إلى حمارك ولنجعلك آية للناس وانظر إلى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحما فلما تبين له قال أعلم أن الله على كل شيء قدير** » (البقرة : ٢٥٩). فقد أثبت الحق فى هذه الآية بالتجربة العملية والمشاهدة الحسية كيفية احياء الموتى.

ويتضح ذلك المنهج بجلاء فى سورة البقرة فى قوله تعالى : « **وإذ قال ابراهيم رب أرنى كيف تحيى الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبى قال فخذ أربعة من الطير فصرهن (١). إليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا ثم ادعهن يأتينك سعياً واعلم أن الله عزيز حكيم** » (البقرة : ٢٦٠).

وجاء فى تفسير ابن كثير ان سبب سؤال ابراهيم عليهالسلام أنه لما قال للنمرود (ربى الذى يحيى ويميت) أحب أن يترقى من علم اليقين بذلك إلى عين اليقين وأن يرى ذلك مشاهدة فأحضر أربعة من الطير كما أمره الله وأوثقهن وقطعهن. قال ابن عباس وعكرمة وسعيد بن جبير وأبو مالك وأبو الأسود الدؤلى وغيرهم «فصرهن إليك» أوثقهن فلما أوثقهن ذبحهن ثم جعل على كل جبل منهن جزءاً بعد أن نتف ريشهن وخلط بعضهن ببعض وجعل رؤوسهن فى يده ثم أمره الله عز وجل أن يدعوهن فدعاهن كما أمره الله عز وجل فجعل ينظر إلى الريش يطير إلى الريش والدم إلى الدم واللحم إلى اللحم والأجزاء من كل طائر تتصل ببعضها حتى قام كل طائر على حدته وأتينه يمشين سعياً ليكون أبلغ له فى الرؤية التى سألها وجعل كل طائر يجيء ليأخذ رأسه الذى فى يد ابراهيم عليه السلام فإذا قدم له غير رأسه يأباه فإذا قدم إليه رأسه تركب مع بقية جسده بحول الله وقوته (٢).

---

(١) فصرهن إليك أى فقطعهن وقيل فارتقهن واذبحهن.

(٢) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ط ص٣١٦.

ويبدو هذا المنهج التجريبى ظاهراً فى قوله تعالى : « **إذ قال الحواريون يا عيسى ابن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء قال أتقوا الله إن كنتم مؤمنين قالوا نريد أن نأكل منها وتطمئن قلوبنا ونعلم أن قد صدقتنا ونكون عليها من الشاهدين**» (المائدة: ١١٢ – ١١٣). وهذه الآية الكريمة تصور المنهج التجريبى أصدق تصوير فقط طلب الحواريون من سيدنا عيسى عليه السلام أن يثبت لهم بالدليل العملى صدق دعواه حتى تطمئن قلوبهم وتتبدد شكوكهم ويؤمنوا عن يقين حسى مشاهد فانزل الله عليهم مائدة من السماء لتكون دليلاً حسياً يؤكد صدقه أمام المشاهدين من صحابته.

كذلك فعل سيدنا موسى عليه السلام حينما طلب رؤية ربه قال تعالى : « **قال رب أرنى أنظر إليك قال لن ترانى ولكن أنظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف ترانى فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا** » (الأعراف : ١٤٣).

ولما كان من المستحيل رؤية الله تعالى فى الحياة الدنيا فاستجاب الله لعبده ورسوله موسى عليه السلام بأن جعله ينظر إلى الجبل وهو يزول حتى يطمئن قلبه بما يشاهد من برهان ربه وهذا الدليل الحسى التجريبى يؤكد لموسى عليه السلام أن الله سبحانه وتعالى يتحدث إليه ويثبت له أنه يعيش واقعاً وليس وهماً.

والأمثلة على هذا المنهج التجريبى من القرآن كثيرة نذكر منها أيضاً قوله تعالى : « **فبعث الله غرابا يبحث فى الأرض ليريه كيف يوارى سوءة أخيه** » (المائدة : ٣١). وهنا يعلم الله سبحانه وتعالى الانسان فى بداية الخليقة عن طريق التجربة العملية والملاحظة الحسية فيبعث للإنسان الأول وهو فى هذه الآية «قابيل» ابن آدم أبو البشرية بعث له غراباً يعلمه كيف يدفن أخيه «هابيل» بعد أن قتله.

وقال تعالى : « **قالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا فى الأرض ينبوعا أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيرا** » (الإسراء : ٩٠ – ٩١). فى هذه الآيات يبين الله تعالى أن الناس لا تؤمن بما جاء به الرسل إلا إذا أقاموا الدليل المادى على صدقهم فيطلبون إليهم رؤية معجزة خارقة للعادة حتى إذا شاهدوها بأعينهم تيقنوا أنهم صادقين. فكان الله تعالى يؤيد رسله بالمعجزات الحسية الدالة على صدقهم حتى يؤمن الناس بما جاءوا به ويزول عنهم الشك باليقين. وهذا إن دل على شىء فإنما يدل على أهمية المشاهدة الحسية والتجربة العملية فى اثبات صدق القضايا.

ومن الايات التى تحمل هذا المنهج أيضاً قوله تعالى : « ولولا إذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة إلا بالله إن ترن أنا أقل منك مالا وولدا فعسى ربى أن يؤتين خيرا من جنتك ويرسل عليها حسبانا من السماء فتصبح صعيدا زلقا أو يصبح ماؤها غورا فلن تستطيع له طلبا وأحيط بثمره فأصبح يقلب كفيه على ما أنفق فيها وهى خاوية على عروشها ويقول يا ليتنى لم أشرك بربى أحدا » (الكهف : ٣٩ - ٤٢). وفى هذه الآيات يثبت الله سبحانه وتعالى بالدليل المادى والبرهان العملى القائم على منهج الملاحظة والتجربة العملية فأصبحت حديقة من أشرك بالله قافرة خاوية على عروشها من الأشجار والثمار بعد أن كانت مثمرة مورقة وقد حدث ذلك أمام ناظريه فأثار عجبه ودهشته وأصبح يقلب كفيه من ذهوله وندم الرجل على شركه باله بعد أن شاهد ما حدث بعينيه.

وقال تعالى فى قصة سيدنا صالح : « قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربى وأتانى منه رحمة فمن ينصرنى من الله إن عصيته فما تزيدوننى غير تخسير ويا قوم هذه ناقة الله لكم آية فذروها تأكل فى أرض الله ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب قريب فعقروها فقال تمتعوا فى داركم ثلاثة أيام ذلك وعد غير مكذوب فلما جاء أمرنا نجينا صالحا والذين أمنوا معه برحمة منا ومن خزى يومئذ إن ربك هو القوى العزيز » (هود : ٦٢ - ٦٦). فقد كذب قوم صالح عليه السلام دعوته فاثبت لهم الله تعالى صدقه بالتجربة العملية وأنزل بهم الهلاك وأنجى صالحاً والذين آمنوا معه.

وقال تعالى : « وقال نسوة فى المدينة امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه قد شغفها حبا إنا لنراها فى ضلال مبين فلما سمعت بمكرهن أرسلت إليهن وأعتدت لهن متكأ وأتت كل واحدة منهن سكينا وقالت أخرج عليهن فلما رأينه أكبرنه وقطعن أيديهن وقلن حاش لله ما هذا بشرا إن هذا إلا ملك كريم قالت فذالكن الذى لمتننى فيه ولقد راوته عن نفسه فاستعصم ولئن لم يفعل ما أمره ليسجنن وليكونا من الصاغرين » (يوسف : ٣٠ - ٣٢). وفى هذه الايات الكريمة يتضح منهج الملاحظة والتجربة العملية حيث أن زوجة العزيز أرادت أن تثبت لنسوة المدينة أن يوسف عليه السلام من البهاء والحسن مالا تستطيع أحداهن مقاومته وقد أثبتت لهن ذلك عملياً حتى يتيقنّ أنها محقة فى حبها له وحتى لا يلمنها على ذلك.

كذلك يتضح منهج الملاحظة والتجربة فى ميثاق الفطرة حيث اطلع الله تعالى نفوس بنى آدم على وجوده وأشهدهم أنه الله الحق حتى لا يقولوا يوم القيامة أنهم كانوا عن ذلك غافلين وأنهم لا يعرفون الله قال تعالى : « **وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم واشهدهم على أنفسهم الست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين أو تقولوا إنما أشرك أباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون** » (الأعراف : ١٧٢ – ١٧٣). ويتضح منهج الملاحظة والتجربة بجلاء عندما أثبت الله تعالى بالبرهان العملى أنه الإله الحق وإنه قادر وحده على حماية رسله الذين يدعون الناس لعبادته وينصرهم على أعدائهم فحينما ألقى الكفار بسيدنا ابراهيم فى النار ليحترق جزاء ما فعله بأصنامهم أمر الله تعالى النار أن تكون برداً وسلاماً على ابراهيم فكانت. وبعد أن خمدت النار وجد الكفار ابراهيم عليه السلام يجلس وسطها فى أمان وسلام لم يحترق منه إلاوثاقه فكان ذلك دليلاً عملياً تجريبياً على صدق ابراهيم. قال تعالى : « **قال حرقوه وانصروا ألهتكم إن كنتم فاعلين قلنا يا نار كونى بردا وسلاما على ابراهيم وأرادوا به كيدا فجعلناهم الأخسرين** » (الأنبياء : ٦٨ – ٧٠).

إن هذه الآيات وغيرها الكثير تحمل دليلاً قاطعاً على احترام الاسلام للواقع الحسى وعلى اهتمامه باتخاذ التجربة والمشاهدة محكاً لصدق القضايا الحسية ولهذا يدعو الله سبحانه وتعالى الانسان للتدقيق فى ملاحظة الواقع الحسى من حوله وألا يمر على الظواهر المحيطة به فى الأرض والسماء مر الكرام دون توقف وهو غافل عنها فدعاه الله إلى ملاحظة كل ما حوله ملاحظة دقيقة فاحصة واعية وان يستقرء الجزئيات من عالم الطبيعة بهدف الوصول إلى معرفة قوانينها فطالب الانسان بدراسة الواقع وحثه على المشاهدة التى تؤدى إلى إيقاظ التفكير ومن ثم يستطيع الانسان أن يستنبط بعملية ذهنية بسيطة أن هذا الواقع المشاهد بما فيه من عظمة الصنع ودقة التركيب وتناسب الأوزان والأحجام والكتل وتناسق الاشكال وجمال الألوان وطيب الروائح والطعوم التناسق والتناغم القائم بين مفردات الطبيعة والترابط المتقن بين أجزائها بمقادير مقننة لا مجال للصدفة العمياء فيه، لابد أن يكون كل ذلك من صنع خالق قدير أبدع كل هذا الجمال وصور تلك العظمة وقنن هذه النسب الدقيقة وربط بين المتناقضات وهو من له الخلق والأمر الله الواحد القادر البديع قال تعالى:

« **أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت وإلى السماء كيف رفعت وإلى الجبال كيف نصبت وإلى الأرض كيف سطحت** » (الغاشية : ١٧ - ٢٠). هذه الآيات الكريمة تدعونا إلى النظر فى الكيفية التى وجدت عليها الأشياء. والبحث فى الكيفية هو مجال البحث العلمى القائم على الاستقراء فالعلم دائماً يبحث عن إجابة للسؤال كيف ؟ أما الفلسفة فإنها تبحث عن إجابة للسؤال لماذا ؟ والقرآن الكريم يثير التسائلين حتى يوقظ العقل البشرى من غفلته ويدعوه إلى البحث والتفكير والنظر العلى إلى جانب المشاهدة الحسية واستقراء الواقع للوقوف على كيفيته أو القوانين العلمية التى تفسره. وهذا قد اتضح لنا فى الفصل السابق عند الحديث عن النظر العقلى فى القرآن. ولا ريب أن كل آية من الآيات السالفة التى تحمل فى ثناياها المنهج الاستقرائى تتضمن أيضاً فرضاً يريد الله سبحانه وتعالى أن يثبت صدقه عملياً ويثبت كذب عكسه عملياً أيضاً.

٢ - **منهج القياس** Syllogism Methode :

وهو منهج عقلى يستخدم لإثبات صدق قضية وهو ضرب من الاستدلال الاستنباطى قائم على فعل الذهن الذى يلمح علاقة مبدأ أو نتيجة بين قضية وأخرى أو بين عدة قضايا وينتهى الحكم بالصدق أو الكذب أو إلى حكم بالضرورة أو الاحتمال(١). وقد حملت آيات القرآن الكريم أنواعاً عديدة للقياس العقلى من ذلك على سبيل المثال لا الحصر. قوله تعالى : « **لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا** » (الأنبياء : ٢٢). وفى هذه الآية الكريمة نوع من أنواع القياس العقلى يتمثل فى الآتى : -

لو كان فى السماء والأرض اكثر من إله لفسدتا لاختلاف الألهة واختلاف إرادتهم وأفعالهم مما يؤدى إلى فساد الأرض والسماء إن السماء والأرض تسيرا على نظام منضبط ومقنن ومستقر ولهذا لم تفسدا. وهذا بدوره يدل على أن السماء والأرض فيهما اله واحد. وهذا الدليل يسمى «بدليل التمانع وهو أنه لو كان للعالم صانعان فعند اختلافهما مثل أن يريد أحدهما تحريك جسم والآخر يريد تسكينه فإما أن يحصل مرادهما، أو مراد أحدهما، أو يحصل مراد واحد منهما. والأول ممتنع لأنه يستلزم

---

(١) انظر : فخر الدين الرازى : أفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء والمتكلمين راجعه وقدم له طه عبد الرؤوف سعد ص٥٢.

الجمع بين الضدين – والثالث ممتنع لأنه يستلزم خلو الجسم من الحركة والسكون وهو ممتنع، ويستلزم أيضاً عجز كل منهما والعاجز لا يكون إلهاً – وإذا حصل مراد أحدهما دون الآخر كان هذا هو الإله القادر والآخر عاجزاً لا يصلح للإلهية [1]. ويسمى هذا القياس أيضاً «قياس الخلف» "Reduction ad absurdum" وهو قائم على إثبات المطلوب بابطال نقيضه وذلك لأن النقيضين لا يجتمعان ولا يرتفعان كالمقابلة بين العدم والوجود، وفى هذه الآية إذا بطل النقيض ثبت الحق [2]. كما يسمى هذا القياس أيضاً «الاستدلال بالمحال». وهذا الدليل يسوقه علماء الكلام على النحو التالى :

«لو كان فى السماوات والأرض إله غير الله لتنازعت الإرادتان بين سلب وإيجاب وان هذا النزاع قد يؤدى إلى فسادهما لتناقض الإرادتين ولكنهما (أى السماوات والأرض) صالحان غير فاسدين فبطل ما يؤدى إلى الفساد فكانت الوحدانية» [3].

وقوله تعالى : « **ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه إختلافا كثيرا** » (النساء : ٨٢). فإذا ثبت أن القرآن ليس فيه اختلافاً ولا تضارباً فى مقرراته ولاعباراته فإنه يثبت النقيض وهو أنه من عند الله تعالى ومن الآيات التى تحمل قياساً عقلياً قوله تعالى : « **أو لم يروا أن الله الذى خلق السماوات والأرض ولم يعى بخلقهن بقادر على أن يحيى الموتى بلى إنه على كل شىء قدير** » (الأحقاف : ٣٣). والقياس العقلى فى هذه الآية يتمثل فى أن الله خلق السماوات والأرض ولم يناله التعب بخلقهن – وهذه قضية أولى، والقضية الثانية أن احياء الموتى أقل بكثير من خلق السماوات والأرض وما فيهما من مخلوقات حية وغير حية إذن الله قادر على احياء الموتى بل أنه قادر على كل شىء قدير «نتيجة».

وهذا القياس يثبت به الله تعالى أنه قادر على احياء الموتى ويرد به على المتشككين فى قدرته تعالى على إحياء الموتى وإذا حولنا هذا القياس إلى رموز لقلنا :

---

(١) على محمد بن محمد بن أبى العز : شرح الطحاوية فى العقيدة السلفية الطبعة الثانية ص١٢ – دار الفكر ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م.

(٢) المعجم الفلسفى الصادر عن مجمع اللغة العربية ص١٠٥.

(٣) على بن محمد بن أبى العز – الرسالة الطحاوية ص٦٢.

إذا كان الله سبحانه قادر على عمل (س) وكانت (س) أصعب بكثير فى عملها من (ص) .·. الله قادر على عمل (ص) لأنه الأسهل فمن يقدر على عمل الأصعب فإنه يقدر على عمل الأسهل.

وقال تعالى : « **أأنتم أشد خلقا أم السماء بناها رفع سمكها فسواها وأغطش ليلها وأخرج ضحاها والأرض بعد ذلك دحاها أخرج منها ماءها ومرعاها والجبال أرساها متاعا لكم ولأنعامكم** » (النازعات : ٢٧ – ٣٣). وهذا مثال آخر لهذا النوع من القياس العقلى . ففى هذه الايات الكريمة جاء أن خلق السماوات والأرض التى رفع الله سمكها وبناها وسواها بدقة ونظام مقنن وأغطش ليلها وأخرج نهارها والأرض التى خلقها بعد ذلك على هيئة بيضاوية وأخرج منها الماء والمرعى وجعل عليها جبالاً كالرواس وجعلها بخيراتها متاعاً للإنسان والأنعام. كل ذلك أشد بكثير فى خلقه وإيجاده من خلق الانسان « **أأنتم أشد خلقا أم السماء بناها** » فمن يستطيع أن يقوم بالأعمال الصعبة يمكنه أن يقوم بالأعمال الأقل صعوبة فخلق الانسان أهون بكثير من خلق السماوات والأرض وهذه الآية تحمل دليل المقارنة بين الخلق الأكبر والخلق الأصغر (١).

- قياس ما فى الغيب على المشاهد :

قال تعالى : « **و ضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال من يحيى العظام وهى رميم قل يحيها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم الذى جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فإذا أنتم منه توقدون أوليس الذى خلق السماوات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم** » (يس : ٧٨ – ٨١). ففى هذه الآيات الكريمة تعقد مقارنة بين الخلق الأول واعادة الخلق من جديد فهو قياس ما فى الغيب على المشاهد، وقياس ما بينه الله وأوجب الإيمان به على ما هو واقع بالفعل، والقادر على عمل ما هو واقع قادر على عمل مثله مستقبلاً.

---

(١) انظر : عبد الرحمن أبوزهرة : المعجزة الكبرى ص٤٠١.

- الاستدلال على صدق قضية ما عن طريق ذكر أوصاف معينة تدل على الصدق

وقد جاء ذلك فى مثل قوله تعالى : « يا أخت هارون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيا » (مريم : ٢٨). ففى هذه الآية استدلال على صدق مريم وطهارتها وعذريتها بذكر أوصاف أبيها وأمها مما يستدل منه على أنها من اصل صالح لا يقترف الآثام والكبائر.

- قياس الدلالة :

وهو تجمع ما بين الأصل والفرع بدليل العلة وما يلزم عنها من نتائج وقد جاء مثل هذا القياس فى آية مثل قوله تعالى : « ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة فإذا أنزلنا عليها الماء إهتزت وربت إن الذى أحياها لمحيى الموتى إنه على كل شىء قدير » (فصلت : ٣٩).

- قياس شرطى Conditional syllogism :

وهو قياس احدى قضاياه شرطية وقد ورد هذا النوع من القياس فى مثل قوله تعالى : « قل لا أملك لنفسى نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون » (الأعراف : ١٨٨). وهذه الآية الكريمة يثبت فيها الله تعالى أن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بشر يبصر الناس بطريق الخير ويبشر المؤمنين بالجنة وينذر الكافرين بعذاب النار وقد جاء ذلك على هيئة القياس الشرطى. **القضية الأولى** : فى « قل لا أملك لنفسى نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله». **والقضية الثانية** : « لو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء ».

وينتج عن ذلك أننى بشر مثلكم بشير ونذير لقوم يؤمنون حيث أننى لا أعلم الغيب ولا استكثر من الخير ولا استطيع دفع السوء عن نفسى، ويمكن إيراد هذا القياس بصورة أخرى هى :

إذا كان من لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً ولا يعلم الغيب بشر «فعل شرط».
محمد صلى الله عليه وسلم لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً ولا يعلم الغيب.
∴ محمد صلى الله عليه وسلم بشر «جواب الشرط»

- **قياس مضمر Enthymemc :**

وهو قياس طويت مقدمته الكبرى أو الصغرى إما لظهورها والاستغناء عنها وإما لإخفاء كذبها أى تحذف في هذا القياس أحد المقدمات مع وجود ما ينبىء عن المحذوف. وقد ذهب صاحب الطحاوية [1]. إلى أن هذا القياس مبناه الحزف والإيجاز ومن أمثلته قول الله تعالى : **« إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون الحق من ربك فلا تكن من الممترين »** (آل عمران : ٥٩ - ٦٠). وقد جاء هذا القياس على النحو التالى :

إذا كان الخلق من غير أب مسوغاً لإتخاذ عيسى إلهاً فأولى أن يكون الخلق بغير أب ولا أم مسوغاً لإتخاذ آدم إلهاً، ولا أحد يقول ذلك.

فى هذا القياس نلاحظ أنه قد حذفت مقدمته وكان القياس هو : إن آدم خلق من غير أب ولا أم وعيسى خلق من غير أب. ولو كان عيسى إلهاً بسبب ذلك لكان آدم أولى أن يكون إلاهاً. وآدم ليس إبناً لله ولا إله باعترافكم فعيسى أيضاً ليس إبناً لله ولا إلهاً.

ويرى صاحب شرح الطحاوية «إن الطريقة الفصيحة فى البيان أن تحذف أحد المقدمات وهى طريقة القرآن» [2]. والحذف فى هذا القياس وأمثاله قد اكسب الكلام جمالاً وجعل القضية قصيرة وبليغة، وإذا حولنا هذا القياس إلى رمز يكون كالتالى: أ ب ، أ جـ خرجاً من المركز إلى المحيط فالخطين أ ب ، أ جـ متساويان [3].

- **قياس إقترانى Conjunctive syllogim :**

وهذا القياس لا تكن عين النتيجة أو نقيضها مذكوراً فيه بالفعل وذلك مثل قوله تعالى : **« أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم »** (البقرة : ١٦) وهنا يقرن عدم الربح فى التجارة بالغش والإضلال وخداع المستهلك.

- **قياس العلامة Enthymeme :**

وهو قياس تشتمل مقدماته على علامة تشير إلى النتيجة وذلك مثل قوله تعالى : **« وما كان الله ليضيع إيمانكم إن الله بالناس لرؤف رحيم »** (البقرة : ١٤٣). وهذا القياس

---

(١) على بن على بن أبى العز : شرح فى العقيدة السلفية ص٢٢.
(٢) المرجع السابق من نفس الصفحة.
(٣) المعجم الفلسفى : اصدره مجمع اللغة العربية تصوير د./ ابراهيم مدكور ص١٥١ - الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ١٤٠٣ - ١٩٨٢م.

يمكن أن يكون على الشكل التالى :

إن الله رؤف رحيم.

من كان رؤفاً رحيماً لا يضيع إيمان المؤمنين.

∴ الله لن يضيع إيمانكم أيها المؤمنون.

- **الاستدلال بالمحال** Apagogicmethod :

وهو يرادف برهان الخلف وأساسه البرهنة على صحة المطلوب بإبطال نقيضه أو إفساد المطلوب بإثبات نقيضه وقد ورد هذا المنهج فى الكثير من آيات القرآن الكريم وهو يتعلق بالقضايا الكاذبة التى يربط الله تعالى فيها بين قضية كاذبة وأخر مستحيلة الحدوث ويجعل حدوث القضية الثانية «المستحيلة» شرطاً لصدق الأولى «الكاذبة» ولما كانت القضية الثانية مستحيلة الحدوث ثبت كذب الأولى ومن أمثلة الآيات التى تتضمن هذا المنهج قوله تعالى : « **قل يا أيها الذين هادوا إن زعمتم أنكم أولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين ولا يتمنونه أبدا بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين** » (الجمعة : ٦ -٧). والاستدلال الوارد فى هذه الآية هو :

أن أولياء الله يتمنون الموت لما يعرفونه من حسن المصير.

اليهود لا يتمنون الموت أبداً.

إذن هم ليسوا صادقين فى زعمهم أنهم أولياء الله.

ومن الآيات التى تحمل هذا المنهج أيضاً قوله تعالى : « **إن الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل من سم الخياط وكذلك نجزى المجرمين** » (الأعراف ٤). وفى هذه الآية جعل الله دخول الجنة أمر مستحيل للذين كفروا بآياته واستكبروا عنها وقرن دخولهم الجنة بأمر مستحيل هو دخول الجمل من فتحة الإبرة الشديدة الضيق المستخدمة فى حياكة الملابس.

ومن أمثلة الاستدلال بالمحال قوله تعالى : « **قال رب أرنى أنظر إليك قال لن ترانى ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف ترانى فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا. فلما أفاق قال سبحانك تبت إليك وأنا أول المؤمنين** » (الأعراف : ١٤٣).

٣ - منهج الاستنباط Deduction method :

وهذا المنهج ينتقل فيه الذهن من قضية أو عدة قضايا إلى قضية أخرى هى النتيجة وذلك وفق قواعد المنطق.

ومن أمثلة الآيات القرآنية التى تحمل هذا المنهج قوله تعالى : « **قال هى راودتنى عن نفسى وشهد شاهد من أهلها إن كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين وإن كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين فلما رأى قميصه قد من دبر . إنه من كيدكن إن كيدكن عظيم** » (يوسف : ٢٦ - ٢٨). وهذه الآيات الكريمة تحمل منهجاً استنباطياً فهى تستنبط صدق قضية من قضية أخرى فإذا كان قميص يوسف عليه السلام قُد من الأمام فيستنبط من ذلك أنهامزقته وهى تدفعه عن نفسها - أما إذا كان قميصه مزق من الخلف فيستنبط من ذلك أنها مزقته وهى تجذبه إليها بينماهو يحاول الفرار منها وهكذا أمكن إثبات صدق يوسف وكذبها لأن قميص يوسف قُد من الخلف.

٤ - منهج توضيح صدق قضية عن طريق ضرب الأمثلة Repressention by Analogy :

وهذا المنهج يقوم على فكرة أن الذهن لا يعرف الأمور المحسوسة مباشرة وإنما يعرفها عن طريق الأفكار التى تماثلها فهى تقوم مقامها - وقد تضمنت الكثير من ايات القران الكريم هذا المنهج لتبسيط الأفكار وتوضيحها عن طريق ضرب الأمثلة حتى تتضح أمام الذهن ويسهل استيعابها ومن أمثلة هذه الايات قوله تعالى : « **كذلك يضرب الله الحق بالباطل فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض. كذلك يضرب الله الأمثال** » (الرعد : ١٧). ففى هذه الآية يتناول الله تعالى قضية الحق والباطل ويقارن بينهما فيضرب للباطل مثلاً بالزبد «أى الفقعات الهوائية أو الريم» الذى يعلو السوائل فما تلبث أن تؤول إلى الزوال أما الحق فإنه يمكث فى الأرض لأن فيه نفع للناس. وقال تعالى : « **مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم** » (البقرة : ٢٦١). ويضرب الله مثلاً فى هذه الآية لتوضيح قيمة الصدقة وبذل المال فى مساعدة الفقراء والمحتاجين وعمل الخير للفرد والمجتمع يضرب الله مثلاً بمن زرع حبة

واحدة من القمح فأنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة فنال من الخير أضعاف أضعاف ما فعل فكذلك من ينفق أمواله فى سبيل الله له أضعاف مضاعفة من الحسنات وبهذا المثل أصبحت فكرة مضاعفة الحسنات والجزاء عليها أكثر وضوحاً أمام العقل وهذا المنهج أيضاً يتضح فى قوله تعالى : « **يأيها الذين أمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى كالذى ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر فمثله كمثل صفوان عليه تراب فأصابه وابل فتركه صلدا لا يقدرون على شىء مما كسبوا والله لا يهدى الكافرين** » (البقرة : ٢٦٤). وقوله تعالى : « **ومثل الذين ينفقون أموالهم إبتغاء مرضاة الله وتثبيتا من أنفسهم كمثل جنة بربوة أصابها وابل فآتت أكلها ضعفين فإن لم يصبها وابل فطل والله بما تعملون بصير** » (البقرة : ٢٦٥). فى هذه الآية الكريمة يفرق الله سبحانه بين من يقدم صدقة للفقير ثم يمن عليه بما قدم له أو يلحق به الأذى بأى شكل من الأشكال، وبين من يقدم صدقة لوجه الله دون من ولا أذى فضرب الله مثلاً للمتصدق فى الحالة الأولى بحجر مغطى بالتراب فنزل عليه المطر وتركه صلداً فلا ينبت فيه نبات ولا يثمر نتيجة لهطول الغيث عليه، ومثل المتصدق ابتغاء مرضاة الله كمثل حديقة على ربوة عالية أصابها الغيث فأنبتت وأزهرت وأثمرت وأتت أكلها وتلك أمثلة لتبسيط الفكرة وتقريبها إلى الأذهان حتى لا يذهب عمل المتصدق هباءً منثوراً ويضيع أجره بسبب المن والأذى وقال الله تعالى فى ذلك أيضاً : « **أيود أحدكم أن يكون له جنة من نخيل وأعناب تجرى من تحتها الأنهار له فيها من كل الثمرات وأصابه الكبر وله ذرية ضعفاء فأصابها إعصار فيه نار فاحترقت كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون** » (البقرة : ٢٦٦). وفى هذه الآية يشبه الله تعالى من يقدم الصدقة ويلحقها بالمن والأذى بانسان له حديقة غناء وقد أصابه الكبر وأولاده صغار ضعفاء لا يقدرون على شىء فهب إعصار فيه نار فاحترقت الحديقة وأصبحت حطاماً وهو عاجز عن عمل شىء فذهب عمله ادراج الرياح فى وقت هو أحوج ما يكون إليه.

ويتضح هذا المنهج أيضاً فى قوله تعالى : « **الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس** » (البقرة : ٢٧٥). وفى هذه الآية يصور الله تعالى حال المرابى الذى يستغل حاجة الناس إلى المال ويبتز منهم الفوائد بأنه يقوم من قبره كالمصروع الذى يتخبطه الشيطان. وبهذا المثل يوضح الله بشاعة الربا.

كذلك يرد هذا المنهج فى قوله تعالى: « **إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون** » (آل عمران : ٥٩). والله تعالى فى هذه الآية يزيل شك من يرتاب فى بشرية عيسى عليه السلام ويدعى له الإلوهية أو أنه ابن الله لأن له أم وليس له أب وليدلل سبحانه على أن عيسى بشر يضرب مثلاً بآدم فهو بشر رغم أن لا أب له ولا أم.

وورد هذا المنهج أيضاً فى مثل قوله تعالى: «**فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد فى السماء** » (الانعام : ١٢٥). يصور الله تعالى فى هذه الآية حال من يضيق صدره بالإسلام ويضل عن سواء السبيل فمثله كمثل من يصعد إلى طبقات الجو العليا ويشعر بضيق فى صدره لقلة الاوكسجين ثم أنعدامه وهذا المثل ضربه الله لتوضيح حال الضال عن سبيله حتى تتضح الفكرة فى الاذهان ومن الآيات التى تضمنت هذا المنهج قوله تعالى : « **واتل عليهم نبأ الذى أتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون** » (الاعراف : ١٧٥ - ١٧٦). ويضرب الله فى هذه الأيات مثلاً لمن تأتيه الأدلة والبراهين على وجود الله ووحدانيته وعلى القضايا الإيمانية وهو مصر على عناده وإنكاره لها فهو يُكذب إذا لم يرى الأدلة أو البراهين ويكذب أيضاً إذا جاءته فهو كالكلب إذا حملت عليه الأثقال يلهث وإذا تركته يلهث أيضاً فلا فرق فى الحالين.

والأمثلة على هذا المنهج من القرآن كثيرة ومتعددة نكتفى فيها بما ذُكر ومن الأحاديث النبوية الشريفة التى تحمل هذا المنهج قول الرسول صلى الله عليه وسلم : «مثل المؤمن الذى يقرأ القرآن كمثل الأترجة [1]. ريحها طيب وطعمها طيب، ومثل المؤمن الذى لا يقرأ القرآن كمثل التمر لا ريح لها وطعمها حلو، ومثل المنافق الذى يقرأ القرآن كمثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر، ومثل المنافق الذى لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة ليس لها ريح وطعمها مر» [2]. وقال صلى الله عليه وسلم : «مثل المؤمن كمثل

---

(١) الأترج شجر يعلو ناعم الأغصان والورق والثمر وثمره كالليمون الكبار وهو ذهبى اللون ذكى الرائحة والطعم - المعجم الوجيز طبعة وزارة التربية والتعليم ١٤١١ - ١٩٩١ ص٤.

(٢) علاء الدين محمد المتقى بن حسام : كنز العمال جـ١ ص١٤٨.

النحلة إن أكلت طيباً وإن وقعت على عود نُخر لم تكسره، ومثل المؤمن مثل سبيكة الذهب إذا نفخت عليها إصحرت وإن وزنت لم تنقص» [١]. وقال صلى الله عليه وسلم : «مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعت له سائر الأعضاء بالسهر والحمى» [٢]. وكل هذه الأمثلة لتوضيح الفكرة واظهارها دون لبس أمام العقل.

٥ - منهج توضيح الفكرة عن طريق تبسيطها أمام الذهن بتحليلها إلى عناصرها البسيطة Analysis :

وهو منهج عام يراد به تقسيم الكل إلى أجزائه ورد الشىء إلى عناصره المكونة له. وقد جاء هذا المنهج فى كثير من آيات القرآن الكريم توضيحاً لأفكار أو قضايا عن طريق تبسيط الفكرة أو القضية بارجاعها إلى عناصرها البسيطة التى تتألف منها نذكر من هذه الآيات على سبيل المثال قوله تعالى : « يا أيها الناس إن كنتم فى ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر فى الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلا لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد إلى أرذل العمر » (الحج : ٥). وفى هذه الآية الكريمة منهجاً لتبديد شكوك من لا يؤمنون بالبعث بعد الموت عن طريق تحليل الانسان إلى عناصره البسيطة التى تكون منها وتحليل مراحل نشأته وتطورها إلى أن ينتهى الأجل ومن ينظر بتأمل لعملية خلق الانسان ويتتبعها يمكنه أن يتعقل بعثه مرة ثانية بعد موته فإن من أنشأ النشأة الأولى وطوره هذه الأطوار بقادر على أن يخلقه مرة ثانية. فالله تعالى خلق آدم من تراب ثم خلق من ظهره حواء ومنهما خلق الأبناء فيكون الجنين فى بداية تكوينه نطفة من منى يمنى ثم علقة ، القطعة الجامدة من الدم ثم مضغة ثم عظاماً ثم يكسو الله العظام لحماً ثم يكتمل الجنين ويصير طفلاً ويخرج إلى الحياة فيظل التطور مستمراً فيشتد عوده شيئاً فشيئاً حتى يكبر ويصير شاباً ثم شيخاً ثم يتوفاه الله ومن الناس من يتوفى قبل اتمام هذه المراحل ومنهم من يتمها ويريد الله بهذا

---

(١) علاء الدين محمد المتقى بن حسام : كنز العمال جـ١ ص١٤٩.

(٢) علاء الدين على المتقى بن حسام : كنز العمال فى الأقوال والأفعال جـ١ ص١٤٩.

التحليل للتطورات التى يمر بها الانسان توضح أنه سبحانه قادر على أن يخلق الانسان بهذه الكيفية إذن هو قادر على أن يعيد خلقه وبعثه إلى الحياة بعد الموت. وهكذا استخدم الله تعالى هنا المنهج القرآنى فى تبسيطه لفكرة الخلق وفكرة البعث حتى لا يرتاب العقل الإنسانى فى البعث يوم القيامة.

٦ - منهج توضيح الألفاظ عن طريق تعريفها Definitional method :

وهو منهج يطلق على جملة خصائص يتواضع عليها العلماء لتحديد الحقائق والإعانة على الفهم ووضوح الأفكار فى الذهن. وتعتبر التعريفات من أهم مكونات النسق الرياضى أو الاستدلالى [١].

وللتعريف وظيفتان :

وظيفة سيكولوجية وأخرى منهجية فهو من ناحية يعين على الفهم ووضوح الأفكار فى الذهن كما أنه من ناحية أخرى يستخدم فى البرهنة والاستدلال [٢]. ومن الايات القرآنية التى تضمنت تعريفاً للألفاظ لتوضيح معناها قوله تعالى : «**إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون أولئك هم المؤمنون حقا لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم**» (الأنفال ٢ -٤). فى هذه الايات الكريمة يعرف الله تعالى المؤمنين بأنهم هم الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا سمعوا القرآن الكريم زادهم ذلك إيماناً وهم المتوكلون على ربهم والمقيمون للصلاة والذين ينفقون مما رزقهم الله من الرزق الحلال ولهم درجات عند ربهم وهم المغفور لهم والذين يرزقهم الله رزقاً كريماً.

وقال تعالى فى تعريف المؤمنين أيضاً : « **قد أفلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون والذين هم عن اللغو معرضون والذين هم للزكاة فاعلون والذين هم لفروجهم**

---

(١) يقوم العلم الرياضى فى بداية بحثه مجموعة من التوضيحات أو التعريفات التى سوف يستخدمها فى هذا البحث مثل تعريف «إقليدس» فى الهندسة المستوية القديمة للنقطة بأنها «ما ليس لها أجزاء» ويتكون النسق الرياضى من التعريفات والبديهيات والمصادرات والمبرهنات وقواعد الاستدلال د./عزمى اسلام «مقدم لفلسفة العلوم ط١ ص١١١ وانظر أيضاً د./ابراهيم مدكور التعريف ووظيفته المنهجية عند ابن سينا مجلة الكتاب العدد ١١.

(٢) المعجم الفلسفى تصدير د./ مدكور - مجمع اللغة العربية نشر الهيئة العامة للكتاب ص٤٩.

حافظون إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين فمن إبتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون والذين هم على صلاواتهم يحافظون أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون » (المؤمنون : ١ – ١١). وعرف الله المؤمنين أيضاً بقوله تعالى : « وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غراما إنها ساءت مستقرا ومقاما والذين إذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما والذين لا يدعون مع الله إلها آخر ولا يقتلون النفس التى حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق اثاما » (الفرقان : ٦٣ – ٦٨).

ويعرف الله تعالى أولو الألباب بقوله : « أولوا الألباب الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق والذين يصلون ما أمر الله به أن يو صل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب والذين صبروا إبتغاء وجه ربهم وأقاموا الصلاة وانفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية ويدرءون بالحسنة السيئة أولئك لهم عقبى الدار » (الرعد : ١٨ – ٢٤). وقال تعالى معرفاً النسىء [1]. « إنما النسىء زيادة فى الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله زين لهم سوء أعمالهم والله لا يهدى القوم الكافرين » (التوبة : ٣٧).

وقال تعالى فى تعريف أصحاب الأعمال السيئة : « قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا ذلك جزاؤهم جهنم بما كفروا واتخذو اياتى ورسلى هزوا » (الكهف : ١٠٣ – ١٠٦).

وقال تعالى فى تعريف المنافقين والمنافقات : « المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون أيديهم نسوا الله فنسيهم إن المنافقون هم الفاسقون وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها هى حسبهم ولعنهم الله ولهم عذاب مقيم » (التوبة : ٦٧ – ٦٨). ويقول تعالى فى تعريف

---

(١) النسىء : أى تأخير حرمة شهر من الشهور الحرام إلى شهر آخر غيره – وكانوا يفعلون ذلك إذا هل شهر محرم وهم يحاربون أحلوه وحرموا بدلاً منه شهراً آخر.

سقر : « سأصليه سقر وما أدراك ما سقر لا تبقى ولا تذر لواحة للبشر عليها تسعة عشر وما جعلنا اصحاب النار إلا ملائكة وما جعلنا عدتها إلا فتنة للذين كفروا وليستيقن الذين أوتوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا إيمانا » (المدثر : ٢٦ – ٣١).

وقال تعالى فى التعريف بالجنة : « مثل الجنة التى وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير أسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى ولهم فيها من كل الثمرات ومغفرة من ربهم » (محمد : ١٥).

وقال تعالى فى تعريف أنواع الحجارة : « وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء وإن منها لما يهبط من خشية الله » (البقرة : ٧٤). ويعرف الله عباده بذاته العليا فيقول : « قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد » (الإخلاص)، وقال تعالى أيضاً : « هو الله الذى لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون هو الله الخالق البارىء المصور له الأسماء الحسنى يسبح له ما فى السماوات والأرض وهو العزيز الحكيم » (الحشر : ٢٣ – ٢٤).

وقد جاء فى السنة النبوية توضيحات لمعانى الألفاظ عن طريق تعريفها من أمثلة ذلك تعريف الاسلام والإيمان. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى تعريف الاسلام : «الاسلام أن تسلم وجهك لله عز وجل وأن تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة وتصوم شهر رمضان» [(١)]. وقال صلى الله عليه وسلم فى توضيح معنى الايمان : «الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وتؤمن بالجنة والنار والميزان ويؤمن بالبعث بعد الموت وتؤمن بالقدر خيره وشره»[(٢)]. وروى عن محمد بن اسحق عن النعمان ابن سعد : «أن أربعين رجلاً من اليهود دخلوا على على ابن أبى طالب فقالوا له : صف لنا ربك هذا الذى فى السماء كيف هو؟ ومت كان؟ وعلى أى شيء هو؟ فقال على : معشر يهود أسمعوا منى ولا

---

(١) علاء الدين على المتقى بن حسام الهندى : كنز العمال فى الأقوال والأفعال ط١ ص٣٢ مؤسسة الرسالة.

(٢) المرجع السابق ص٢١.

تبالوا أن تسألوا أحد غيرى، إن ربى عز وجل هو الأول لم يبد من ما ولا ممازج مع ما، لا حال وهماً ولا شبح يتقصا ولا محجوب فيحوى ولا كان بعد أن لم يكن فيقال حادث بل جل أن يكيف بتكيف الأشياء. كيف كان بل لم يزل، ولا يزول لاختلاف الأزمان ولا تقلب شان بعد شان، وكيف يوصف بالاشباح وكيف ينعت بالألسن الفصاح من لم يكن فى الاشياء، فقال كائن ولم يبن منها فيقال بائن، بل هو بلا كيفية، وهو أقرب من حبل الوريد وأبعد فى الشبهة من كل بعيد، لا يخفى عليه من عباده شخوص لحظة ولا كرور لفظة ولا إزدلاف ربوة، ولا إنبساط خطوة فى غسق ليل داج ولا إدلاج، ولا يتغشى عليه القمر المنير ولا انبساط الشمس ذات النور بضوءها فى الكرور ولا إقبال ليل مقبل ولا إدبار مكان وكل حين وأوان وكل نهاية ومدة والأمدُ إلى الخلق مضروب والحد إلى غيره منصوب لم يخلق الاشياء من أصول أولية ولا بأوائل كانت قبله بدية، بل خلق ما خلق فأقام خلقه فصور فأحسن صورته، توحد فى علوه فليس لشىء منه امتناع ولا له بطاقة شىء من خلقه إنتفاع، إجابته للداعين شريعة والملائكة فى السماوات والأرضين له مطيعة، علمه بالأموات البائدين كعلمه بالأحياء المتقلبين، وعلمه بما فى السماوات العُلى كعلمه بما فى الأرضين السُفلى، وعلمه بكل شىء، لا تحيره الأصوات ولا تشغله اللغات، سميع للأصوات المختلفة فلا جوارح فيه مؤتلفة، مدبر، بصير عالم بالأمور حى قيوم سبحانه كلم موسى تكليماً بلا جوارح ولا أدوات ولا شفه ولا لهوات، سبحانه وتعالى عن تكييف الصفات، من زعم أن آلاهنا ممدود فقد جهل الخالق المعبود، ومن ذكر أن الأماكن به تحيط لزمته الحيرة والتخليط بل هو المحيط بكل مكان، فإن كنت صادقاً أيها المكلف لوصف الرحمن بخلاف التنزيل فصف لنا جبرائيل وميكائيل وإسرافيل هيهات، أتعجز عن صفة مخلوق مثلك وتصف الخالق المعبود، وإنما لا تُدرك صفة رب الهيئة (١). والأدوات فكيف من لا تأخذه سنة ولا نوم له ما فى السماوات وما فى الأرض وما بينهما وهو رب العرش العظيم» (٢).

---

(١) رب الهيئة اى الشيء الحسى الذى له هيئة وشكل وجسم مادى.

(٢) علاء الدين على المقفى بن حسام : كنز العمال ط١ ص١٠٤.

٧ - منهج الاستبطان الذاتى Subjective method :

وهو منهج يقوم على تفسير الظواهر النفسية فى ضوء المشاعر والميول الداخلية ويتلخص فى التأمل الباطنى واكثر ما يستعمل فى علم النفس. وقد تضمنت الكثير من ايات القرآن الكريم هذا المنهج من ذلك على سبيل المثال قوله تعالى : « **يخفون فى أنفسهم مالا يبدون لك** » (آل عمران : ١٥٤). فى هذه الآية الكريمة ينبه الله سبحانه وتعالى رسوله إلى خفايا النفس البشرية ويوضح له أنها العامل المباشر ور.. تصرف المنافقين وقال تعالى : « **بل الانسان على نفسه بصيرة ولو ألقى معاذيره** » (القيامة : ١٤- ١٥). وقال تعالى داعياً عباده إلى تأمل ذواتهم ومعرفة خفايا نفوسهم : « **وفى الأرض آيات للموقنين وفى أنفسكم أفلا تبصرون** » (الذاريات : ٢١). وقال تعالى : « **أولم يتفكروا فى أنفسهم** » (الروم : ٨). وفى هذه الآيات الكريمات يوجه الله تعالى عباده إلى تأمل أنفسهم لمعرفة حقيقتها فكل انسان عليه أن يدقق النظر فى ذاته ليقف على خفاياها فإذا أدرك أنها نفس ضعيفة علم أن الله وحده هو القوى المتين وإذا أدرك أنها معجزة فى تكوينها وتنظيمها علم أن الله هو الخالق المصور العظيم، وإذا أدرك أنها عاقلة علم أن الله هو الذى منحها العقل والحكمة وإن أدرك العلاقة بينهاوبين البدن وعلم بالدقة التى أوجد الله عليها هذا البدن الذى تسوسه النفس علم أن ذلك اية كبرى على عظمة خلق الله وابداعه وقدرته ولذلك قال تعالى : « **سنريهم اياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق** » (فصلت : ٥٣). فالله سبحانه وتعالى يكشف لمن يتأمل ذاته ويتأمل العالم من حوله آيات بينات على وجوده وعلى قدرته وعظمته وابداعه فى الخلق فقال تعالى كاشفاً النفس البشرية : « **فأما الانسان إذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه فيقول ربى اكرمن وأما إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربى أهانن** » (الفجر : ١٦ - ١٧). وهذا يعنى أن الانسان إذا تأمل نفسه سيدرك حقيقتها وهى أنها تتقرب إلى الله عندما يكون صاحبها فى شدة ثم إذا زالت تلك الشدة عادت النفس إلى سابق عهدها من الجحود لنعم الله ويتضح ذلك من قوله تعالى : « **فإذا ركبوا فى الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون** » (العنكبوت : ٦٥). ففى هذه الآية يكشف الله النقاب عن النفس البشرية التى تتقرب إليه تعالى بالدعاء وقت الشدة والحاجة ثم إذا بلغت مآربها نسيت فضل الله عليها وعادت إلى المعصية.

ومن الآيات التى تحمل هذا المنهج قوله تعالى : « فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون اليك تدور أعينهم كالذى يغشى عليه من الموت فإذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حداد أشحة على الخير أولئك لم يؤمنوا فأحبط الله أعمالهم وكان ذلك على الله يسيرا » (الأحزاب : ١٩). وهذه الآية تصور الحالة النفسية التى يكون عليها الانسان أثناء خوفه فإذا زالت أسباب انفعال الخوف والفزع نسى ما كان عليه وعاد إلى الجدل وسلاطة اللسان وهذه سمات الكافرين بالله وطبيعة نفوسهم. وقد ورد ذلك أيضاً فى مثل قوله تعالى : « وإذا أنعمنا على الانسان أعرض ونأى بجانبه وإذا مسه الشر فذو دعاء عريض » (فُصلت : ٥١). وهذه الآية تصور حال الكبرياء والتعالى التى تعترى نفس الانسان المُنعم أما إذا زالت النعمة أو لحق به شر فإن يرجع إلى ربه بالدعاء طالباً رفع الكرب عنه وهنا يعرف الانسان مدى ضعفه وقلة حيلته. والله سبحانه مطلع على ما يبطنه الانسان فى نفسه فيعلم أنه إذا بسط له الرزق لبغى وتكبر. ويقول الله فى ذلك : « ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا فى الأرض ولكن ينزل بقدر ما يشاء إنه بعباده خبير بصير » (الشورى : ٢٧). ويشير الله تعالى إلى أنه خلق النفس الإنسانية وفطرها على الخير والشر وعلى الانسان أن يزكى الخير فى نفسه باتباع الأخلاق الإسلامية وممارسة العبادات الشرعية فيطوع نفسه الأمارة بالسوء لنفسه المطمئنة. قال تعالى : « إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربى » (يوسف : ٥٣) وقال تعالى : « ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها » (الشمس : ٧ - ٨).

وكثيراً ما يتأمل الأنسان نفسه ويحاسبها على أفعالها ويلومها على ما اقترفه من أعمال سيئة قال تعالى فى ذلك « ولا أقسم بالنفس اللوامة » (القيامة : ٢) اشارة منه تعالى على وجود هذا الجانب اللوام فى النفس الانسانية والذى يجب أن يزكيه الانسان ليراقب نفسه دائماً ويحاسبها. قال تعالى : « أولم يتفكروا فى أنفسهم » (الروم : ٨). وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «من عرف نفسه فقد عرف ربه» [1]. فجعل الله تعالى معرفة الانسان لنفسه مفتاح لمعرفته لربه.

---

(١) شرح الكرمانى ط١٢ ص١٦٢، فتح البارى ط١٠ ص٢٥٨، عمدة القارىء للعينى ط١٠ ص٢٢٩، شرح القسطلانى ط٩، ص١٦ وأخرجه مسلم فى «الآداب» والترمذى «البر».

٨ - الكم والمقدار في الكتاب والسنة :

اهتم القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة باستخدام الكم والمقدار [(١)]. في الكثير من قضايا الإيمان فقد حرص الله سبحانه وتعالى على توضيح حقيقة هامة وهي أن كل شيء خلقه سبحانه في هذا العالم كان بقدر معلوم ونسب محددة في تركيبه وتكوينه في كمية وجوده في العالم وخواصه الطبيعية وقد ورد ذلك في مثل قوله تعالى : « **إنا كل شيء خلقناه بقدر** » (القمر : ٤٩). وقال تعالى : « **وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم** » (الحجر : ٢١). وقال تعالى : « **وكل شيء عنده بمقدار** » (الرعد : ٨).

ويوضح الحق تعالى أيضاً أن النباتات مركبة من مواد محسوبة ونسب مقدرة معلومة وموزونة في قوله تعالى : « **وأنبتنا فيها من كل شيء موزون** » (الحجرات : ١٨). وقد أثبت العلم المعاصر بما لا يدع مجالاً للشك أن جميع الموجودات من اكبر كبيرة إلى أصغر صغيرة خاضعة في وجودها وتكوينها لنسب محددة بكم معلوم، ولانستطيع أن نقول بالتحديد أن القرآن الكريم يحمل المنهج الكمي "Quantitative method" الذي يستخدم البيانات الكمية كالعدد أو الحجم أو القياس أو الوزن للوصول إلى نتيجة. وإنما يمكن أن نقول أن الكثير من آيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة قد ورد بها بيانات كمية مثل قوله تعالى : « **ولبثوا في كهفهم ثلاث مائة سنين وازدادوا تسعا قل الله أعلم بما لبثوا له غيب السماوات والأرض** » (الكهف : ٢٥ - ٢٦). فهذه الآية الكريمة تخبرنا أن أهل الكهف لبثوا فيه ثلاثمائة سنة وذلك منذ أن أنامهم الله حتى أيقظهم وهي تتضمن الفرق بين السنة الشمسية والقمرية ثلاث سنين لكل مائة سنة فتصير تسعاً بعد الثلاثمائة، ولذلك قال تعالى : « **وازدادوا تسعا** » [(٢)]. ثم يقول الله تعالى : « **والله أعلم بما لبثوا** » وفي ذلك اشارة خفية إلى نسبية الزمان واختلافه من مكان إلى آخر في هذا الكون الفسيح، ومما يدعم ذلك القول ما جاء في آيات أخرى تحمل اشارات مباشرة إلى نسبية الزمان في مثل قوله تعالى : « **وإن يوم عند ربك كألف سنة مما تعدون** » (الحج : ٤٧). وهذا يعني أن اليوم الواحد عند الله

---

(١) لمعرفة المزيد عن قضية الكم في القرآن الكريم ارجع إلى د./ كوكب عامر : الرد على زعم المستشرقين بأن القرآن غير منزل ص١٥٧ - ص١٦٠.

(٢) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ج٣١ ص٧٨.

تعالى يعادل ألف سنة على الأرض كذلك قوله تعالى : « **تعرج الملائكة والروح إليه فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة** » (المعارج : ٤).

ومن الآيات القرآنية التى تحمل بيانات كمية قوله تعالى : « **إن عدة الشهور عند الله إثنا عشر شهرا فى كتاب الله يوم خلق السماوات والأرض** » (التوبة : ٣٦). وقال سبحانه وتعالى عن القمر : « **وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب** » (يونس : ٥). وقال سبحانه وتعالى في جزاء العمل الطيب أنه جعل الحسنة بعشرة أمثالها وتتضاعف الحسنات إلى سبعمائة ضعف وضرب لذلك مثلاً فى قوله تعالى : « **مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم** » (البقرة : ٢٦١).

وتحمل الآيات القرآنية الخاصة بتوزيع التركات بين المواريث بيانات كمية دقيقة ومن أمثلة تلك الآيات قوله تعالى : « **يو صيكم الله فى أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين فإن كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك وإن كانت واحدة فلها النصف ولأبويه لكل واحد منهما السدس مماترك إن كان له ولد فإن لم يكن له ولد وورثه أبواه فلأمه الثلث فإن كان له إخوة فلأمه السدس من بعد و صية يو صى بها أو دين** » (النساء : ١١). وقال تعالى : « **ولكم نصف ما ترك أزواجكم إن لم يكن لهن ولد فإن كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن من بعد و صية يو صين بها أو دين ولهن الربع مماتركتم إن لم يكن لكم ولد فإن كان لكم ولد فلهن الثمن مماتركتم من بعد و صية تو صون بها أو دين وإن كان رجل يورث كلالة** (١) **أو امرأة وله أخ أو أخت فلكل واحد منهما السدس فإن كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء فى الثلث من بعد و صية يو صى بها أو دين** » (النساء : ١٢).

هذه الآيات القرآنية وأمثالها من القرآن الكريم تحمل بيانات كمية وهناك أيضاً الأحاديث النبوية ما يقوم على العدد والكم فى توضيح قضية ما مثل قوله تعالى : « من قرأ القرآن فأعربه كله (أى أفصحه وأظهره وبين اعرابه) كان له بكل حرف أربعون حسنة ومن أعرب بعضه ولحن بعضه كان له بكل حرف عشرون حسنة ومن لم يعرب منه شيئاً كان له بكل حرف (أى كل حرف يقرأه) عشر حسنات (٢). وقال ﷺ : القرآن

---

(١) كلالة أى من لا ولد له ولا والد.

(٢) علاء الدين على المتقى بن حسام الهندى المتوفى سنة ٩٧٥ هـ : كنز العمال فى سنن الأقوال والأفعال ط١ ص٥٣٢ مؤسسة الرسالة.

الف الف حرف وسبعة وعشرون ألف حرف .. إلخ» [1]. وهذا الحديث الشريف يحمل إحصائية بعدد حروف القرآن وهى مليون وسبعة وعشرون ألفاً من الحروف. وقال صلى الله عليه وسلم : « من قال سبحان الله وبحمده كان له مثل مائة رقبة تعتق، إذا قالها مائة مرة، ومن قال الحمد لله مائة مرة كان عدل (أى يساوى) مائة فرس مُسرج مُلجم فى سبيل الله. ومن قال الله أكبر مائة مرة كان عدل بدنة تنحر بمكة». وأمثال هذه الأحاديث كثيرة وهى تعتمد على الطريقة الرقمية فى بيان قيمة العمل الصالح.

٩ - المنهج المقارن Comparative method :

وهو منهج الوصول إلى الحقيقة عن طريق المقابلة أو المقارنة بين الاحداث والآراء بعضها ببعض لكشف ما بينها من تشابه أو اختلاف أو علاقة. يقول ابن خلدون عن هذا المنهج : «إن الباحث يحتاج إلى العلم باختلاف الأمم والبقاع والأمصار فى السير والأخلاق والعوائد والنحل والمذاهب وسائر الأطوال والإحاطة بالحاضر من ذلك ومماثلة ما بينه وبين الغائب من الوفاق والاختلاف ويعلل المتفق منها والمختلف [2].

وهذا المنهج أكثر ما يستعمل فى علم مقارنة الأديان. ومن أمثلة الآيات القرآنية التى تحمل هذا المنهج قوله تعالى : « **أومن كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشى به فى الناس كمن مثله فى الظلمات ليس بخارج منها** » (الأنعام : ١٢٢). وهذه الآية الكريمة تحمل مقارنة بين من فى الضلالة هالكاً حائراً فأحيا الله قلبه بالإيمان وهداه إلى سواء السبيل وإلى نور الإيمان وبين حال من ظل يتخبط فى الظلمات وهى الأهواء والشهوات والكفر والضلالة لا يهتدى إلى منفذ ولا مُخلص له مما هو فيه شتان بين الحالين [3].

ومن الايات التى تحمل هذا المنهج قوله تعالى : « **لا جرم أنهم فى الأخرة هم الأخسرون إن الذين أمنوا وعملوا الصالحات وأخبتوا إلى ربهم أولئك أصحاب الجنة هم فيها**

---

(١) علاء الدين على المتقى بن حسام الهندى المتوفى سنة ٩٧٥ : كنز العمال فى سنن الأقوال والأفعال ط١ ص٤٧٣.

(٢) ابن خلدون المقدمة ص١٦٥ وانظر أيضاً المعجم الفلسفى - الصادر عن مجمع اللغة العربية تصدير د./ابراهيم مدكور.

(٣) ابن كثير - تفسير القرآن العظيم جـ٢ ص١٧٢.

خالدون مثل الفريقين كالأعمى والأصم والبصير والسميع هل يستويان مثلا أفلا تذكرون » (هود : ٢٢ – ٢٤). وهذه الآية تحمل مقارنة بين حال الأشقياء وحال السعداء وهم الذين أمنوا وعملوا الصالحات قولاً وفعلاً وبهذا ورثوا الجنات بما فيها من نعيم مقيم ومثل الكافرين والمؤمنين كمثل الأعمى والبصير فالكافر أعمى عن الحق والمؤمن يرى الحق بوضوح ومثلهم كمثل السميع والأصم فالكافر أصم عن سماع الحجج فلا يسمع ما ينتفع به أما المؤمن ففطن ذكى لبيب بصير بالحق يميز بينه وبين الباطل فينتفع بالخير ويترك الشر وهو سميع للحجة يفرق بينها وبين الشبهة فهل يستوى هذا وهذا؟[1]. وقد ورد هذا المنهج أيضاً فى قوله تعالى : « **البلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه والذى خبث لا يخرج إلا نكدا كذلك نصرف الآيات لقوم يشكرون** » (الأعراف : ٥٨). وفى هذه الآية الكريمة يوضح الله سبحانه وتعالى أن التربة الصالحة تخرج نباتاً صالحاً وأما التربة الملوثة الفاسدة لأى سبب من الاسباب فإنها تخرج نباتاً ضاراً وهذا أيضاً يعنى أن المقدمات الصحيحة تعطى نتائج صحيحة والعكس بالعكس كذلك العمل الصالح يؤدى إلى نتيجة صالحة والعمل غير الصالح يأتى بنتيجة فاسدة. وقال مجاهد وابن عباس وغيرهم من مفسرى السلف هذا مثل ضربه الله تعالى للمؤمنين والكافرين»[2]. قال تعالى : « **أفمن يمشى مكبا على وجهه أهدى أمن يمشى سويا على صراط مستقيم** » (الملك : ٢٢). وهذه الآية تحمل مقارنة بين من يسير بغير هدى هائماً دون منهج يلتزم به وبين من يسير وفق منهج واضح ثابت الخطى.

ومن الآيات التى تحمل المنهج المقارن قوله تعالى : « **وما يستوى الأعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور وما يستوى الأحياء ولا الأموات** » (فاطر : ١٨ – ٢١). وفى هذه الآية الكريمة مقارنة بين حالات متباينة بوضوح فالأعمى لا يستوى مع المبصر والظلمة لا تتساوى مع النور والظل لا يُعادل الحرور والأحياء ليسوا كالأموات فكل واحد من هؤلاء له شأنه الخاص الذى يميزه والله تعالى يريد أن يلفت نظر الانسان العاقل أن يدرك بعقله الفروق بين الاشياء حتى يستطيع أن يفرق بين الحق والباطل والثمين والغث والخير والشر. قال تعالى : « **ولا تستوى الحسنة ولا السيئة**

---

(١) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم جـ٢ ص٤٤٢.

(٢) المرجع السابق جـ٢ ص٢٢٣.

إدفع بالتى هى أحسن فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم » (فُصلت : ٣٤). وقال تعالى : « لايستوى أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون » (الحشر : ٢٠). ولا ريب أن هذا المنهج المقارن يساهم فى ادراك الحقيقة ويوضح الفروق بين المتناقضات والعلاقة بين الاشياء حتى يسهل الوقف عليها ومعرفتها معرفة صحيحة.

١٠ - منهج توليد المعانى Maieutics :

وهذا المنهج قائم على طرح الأسئلة مرتبة والإجابة عليها لاستخلاص الأفكار من العقل لجعل المسئول يتذكر الحقائق الأولية وهو استفهام على المقدمات البينية البرهانية التى لا يمكن لأحد أن يجحدها وهى تدل على المطلوب لتقرير المخاطب بالحق ولإعترافه بانكار الباطل. ومن أمثلة هذا المنهج فى القرآن الكريم قوله تعالى : « قل من رب السماوات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله، قل أفلا تتقون قل من بيده ملكوت كل شىء وهو يجير ولا يجار عليه إن كنتم تعلمون سيقولون لله قل فأنى تسحرون بل أتيناهم بالحق وإنهم لكاذبون » (المؤمنون : ٨٦ - ٩٠). ومن الآيات الكريمة التى تحمل هذا المنهج قوله تعالى : « أم خلقوا من غير شىء أم هم الخالقون أم خلقوا السماوات والأرض بل لا يوقنون أم عندهم خزائن ربك أم هم المصيطرون أم لهم سلم يستمعون فيه فليأت مستمعهم بسلطان مبين أم له البنات ولكم البنون أم تسألهم أجرا فهم من مغرم مثقلون أم عندهم الغيب فهم يكتبون » (الطور : ٣٥ - ٤١). وقال تعالى : « أفرأيتم ما تمنون أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون نحن قدرنا بينكم الموت وما نحن بمسبوقين على أن نبدل أمثالكم وننشأكم فى مالا تعلمون ولقد علمتم النشأة الأولى فلولا تذكرون أفرأيتم ما تحرثون أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون ولو نشاء لجعلناه حطاما فظلتم تفكهون (١) إنا لمغرمون بل نحن محرومون أفرأيتم الماء الذى تشربون أأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون ولو نشاء جعلناه أجاجا فلولا تشكرون أفرأيتم النار التى تورون (٢) أأنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون نحن جعلناها تذكرة ومتاعا للمقوين فسبح باسم ربك العظيم » (الواقعة : ٥٨ - ٧٤).

---

(١) تفكهون أى تتفكهون بمعنى تعجبون وأصل التفكه التنقل بصنوف الفاكهة وقد استعير للتنقل بالحديث انظر المصحف المفسر ص٧٢٦.

(٢) تورون أى تقدمون.

ومن أمثلة الآيات التي تحمل منهج توليد المعاني قوله تعالى : « قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى الله خير أم ما يشركون أمن خلق السماء والأرض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها أإله مع الله بل هم قوم يعدلون[1] أمن جعل الأرض قرارا وجعل خلالها أنهارا وجعل لها رواسي وجعل بين البحرين حاجزا أإله مع الله بل أكثرهم لا يعلمون أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض أإله مع الله قليلا ما تذكرون أمن يهديكم في ظلمات البر والبحر ومن يرسل الرياح بشرا بين يدى رحمته أإله مع الله تعالى الله عما يشركون أمن يبدؤا الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من السماء والأرض أإله مع الله قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين قل لا يعلم من في السماوات والأرض الغيب إلا الله » (النمل : ٥٩ : ٦٥). والأمثلة على هذا المنهج من القرآن الكريم كثيرة نكتفي منها بما سلف.

وقد جاء أيضاً في أقوال الصحابة منهج توليد المعاني من أمثلة ذلك : عن جعفر بن محمد عن أبيه قال : «قيل لعلى بن أبى طالب إن ها هنا رجلاً يتكلم في المشيئة فقال : يا عبد الله خلقك الله لما شاء أو لما شئت ؟ قال لما شاء، قال : فيمرضك إذا شاء أو إذا شئت ؟ قال : بل إذا شاء، قال : فيميتك إذا شاء أو إذا شئت ؟ قال : بل إذا شاء قال : فيضلك حيث شاء أو حيث شئت ؟ قال : حيث شاء .. إلخ ثم تلا على : « وما يذكرون إلا أن يشاء الله هو أهل التقوى وأهل المغفرة » (المدثر : ٥٦) [2]. وفي هذا الحديث أراد على ابن أبى طاب كرم الله وجهه أن يثبت للرجل أن إرادة الله وقدره ومشيئته هي النافذة ولكي يقنعه بهذه القضية اتبع معه منهج توليد المعاني فقام بطرح الأسئلة عليه والرجل يجيب حتى تكشفت له الحقيقة.

١١ - منهج إثبات صدق قضية عن طريق صدق التنبؤات التي تحملها :

إذا ما تحققت هذه التنبؤات كما أخبرت بها القضية دل ذلك على صحتها وصدقها ومن الآيات القرآنية التي تحمل هذا المنهج قوله تعالى : « إنا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما وينصرك الله نصرا عزيزا » (الفتح : ١ - ٣). وفي هذه الآية يبشر الله تعالى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم بفتح مكة وبأنه سينصره على الكفار نصراً عظيماً وقد صدق هذا

(١) يعدلون أي يميلون عن الحق ويعدلون عنه.
(٢) عماد الدين بن على المتقى كنز العمال في الأقوال والأفعال جـ١ ص٢٤٤.

الذى تنبأت به الآية فدل ذلك على صدق دعوة محمد وصدق نبوته وقال تعالى : «وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها فجعل لكم هذه وكف أيدى الناس عنكم ولتكن آية للمؤمنين ويهديكم صراطا مستقيما وأخرى لم تقدروا عليها قد أحاط الله بها وكان الله على كل شيء قديرا ولو قاتلكم الذين كفروا لولوا الأدبار ثم لا يجدون وليا ولا نصيرا سنة الله التى قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا» (الفتح : ٢٠ - ٢١) وهذه الآية أيضاً تحمل هذا المنهج فهى تخبر بتحقيق الوعد الذى قطعه الله على نفسه بنصر المؤمنين على الكفار وقد تحقق ذلك بالفعل فدل على صدق القرآن الكريم وصحة نبوءة محمد صلى الله عليه وسلم. وقد ورد هذا المنهج أيضاً فى سورة الفتح فى قوله تعالى : «لقد صدق الله ورسوله الرءيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله أمنين محلقين رؤوسكم ومقصرين لا تخافون مالم تعلموا فجعل من كل ذلك فتحا قريبا هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا» (الفتح : ٢٧ - ٢٨). وفى هذه الآية الكريمة يعد الله المؤمنين بمستقبل عظيم مع رسولهم ويبشرهم بدخول المسجد الحرام آمنين دون قتال ويطمأنهم ويطلب إليهم ألا يخشون عدوهم لأنه سبحانه يعلم مالا يعلمون من انتصارهم وانتشار الاسلام وفتح مكة فى المستقبل القريب ويبشرهم بأن الاسلام سيكون له شأن عظيم ويظهر على سائر الأديان لأنه خاتمها وكى يزيد الله تعالى من إطمأنانهم يقول لهم يكف ان الله هو الذى يعدكم بذلك ويشهد على تحقيقه «وكفى بالله شهيدا» (الفتح : ٢٨) وقد حق وعد الله للمؤمنين وانتصروا وانتشر دين الاسلام وتحققت النبوءة بما لا يدع مجالاً للشك أو الجدل (١). وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن القرآن من الله الذى يعلم الغيب وحده ويرد على القائلين ببشرية القرآن (٢). ومن الايات التى تحمل هذا المنهج قوله تعالى : «ويقولون متى هذا الفتح إن كنتم صادقين قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا إيمانهم ولا هم ينظرون فاعرض عنهم وانتظر إنهم منتظرون» (السجدة : ٢٨ - ٣٠). وفى هذه الآية الكريمة يستعجل الكفار وقوع بأس الله بهم وذلك من باب عدم الإيمان وعدم التصديق بنبوة الرسول صلى الله عليه وسلم فهم يجدون انتصار محمد وصحبه مستحيلاً حيث أن الكفار لهم

---

(١) انظر : أبو الحسن النيسابورى : اسباب النزول ص٢٨٤.

(٢) لمعرفة المزيد من الآيات التى تحمل هذا المنهج ارجع إلى د./كوكب عامر الرد على زعم المستشرقين بأن القرآن غير مُنزل ص٨٣ وما بعدها.

الجمع الأكبر والعدة الأوفر والجاه الأوسع بينما المسلمون قلة لا عدد ولا عدة غير أن الله سبحانه يطمأن رسوله ومن تبعه بأن لهم النصر المبين على أعداء الدين الذين يقولون متى تنتصر علينا كما تزعم ما نراك وأصحابك إلا خائفين ذليلين فيقول له رب العزة « **قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا إيمانهم ولا ينظرون** » (السجدة : ٣٠) أى يوم أن يحل بهم بأس الله وينصر عليهم المسلمون لن ينفعهم ما كانوا يؤمنون به من دون الله ويطلب الله من نبيه أن ينتظر نصر الله ووعده الحق بالفتح العظيم، وقد تحقق بالفعل نصر المؤمنين وحقت كلمة الله على الكافرين [1]. وتحققت النبوءة وذلك دليلاً عملياً أكيداً على صدق الدين وصدق الوحى ولذلك قال تعالى : « **إن ما توعدون لصادق وإن الدين لواقع** » (الذاريات : ٥ – ٦). وقال تعالى أيضاً : « **فسيعلمون من هو شر مكانا وأضعف جندا** » (مريم : ٧٥). وقال تعالى : « **يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون** » (الصف : ٨ – ٩). وقال تعالى : «**وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين** » (الصف :١٣).

ومن الآيات التى تحمل هذا المنهج أيضاً : « **ألم غلبت الروم فى أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون فى بضع سنين لله الأمر من قبل ومن بعد يومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر الله من يشاء وهو العزيز الرحيم وعد الله لا يخلف الله وعده ولكن أكثر الناس لا يعلمون** » (الروم : ١ – ٦). وفى هذه الاية إخبار من الله تعالى بان الروم وهم أهل الكتاب سينتصرون على الفرس وهم عبدة النار فى ذلك الحين فى بضع سنين أى من سنة إلى ثمان سنوات ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله وقد كان ذلك فانتصرت الروم على الفرس وكانا فى ذلك الز[مان] أكبر قوتين فى العالم وعندما بلغ الخبر المسلمين كانوا يحتفلون بنصرهم فى [حر]ب بدر على الكفار فصدق الله العظيم فى كل ما أخبر به وهذا دليل على أن القرآن من عند الله.

١٢ – منهج الكشف القلبى وهو ما يسمى بالمنهج الاشراقى Illuminism

وفى هذا المنهج يكون الاشراق أو الذوق القلبى هو مصدر المعرفة وهو ضرب من الإشراق القلبى الذى يربط الذات العارفة ارتباطاً روحياً بالله تعالى وهدفه معرفة الله

(١) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم جـ٣ ص٧٩ وانظر أيضاً أبو الحسن الواحدى النيسابورى : أسباب النزول ص٢٨٥.

معرفة لدينه يفيضها الله على قلب الإنسان المؤمن دون وساطة من حسى أو عقل فهو حدس قلبى مباشر يشرق من لدن الله على قلب عبده الواصل إلى حضرته وسبيله إلى ذلك مجاهدة نفسه وتطهيرها من أدران الشهوة والهوى والأخلاق الذميمة وتنقية قلبه من التعلق بحب الدنيا والتحلى بالأخلاق الكريمة والتقرب إلى الله بالعبادات والرياضات العملية والروحية وبذلك تتطهر سريرته ويكون أهلاً لتقبل الفيوضات الربانية والمعرفة القلبية. وهذا هو المنهج الصوفى Mysticism القائم على العلم بالشريعة والعمل بها وهو منهج البحث فى أحوال النفس الباطنة ويسعى إلى تصفية القلب والتطهر والتجرد والتحقق بالمقامات والأحوال الصوفية وهدفه معرفة الله تعالى معرفة قلبية. وقد جاء فى القرآن الكريم والسنة الشريفة اشارات كثيرة إلى هذا المنهج فى مثل قوله تعالى : « **والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا** » (العنكبوت : ٦٩). وقوله تعالى :« **الله يجتبى إليه من يشاء ويهدى إليه من ينيب** » (الشورى : ١٣). وقوله تعالى « **والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم** » (البقرة : ٢١٣). وقوله تعالى : « **اتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما** » (الكهف : ٦٥). وقوله تعالى : « **يا أيها الذين أمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون فى سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم** » (المائدة : ٥٤).

١٣ - المنهج التاريخى Historical Method :

وهو منهج يعتمد على النصوص والوثائق التى هى مادة التاريخ الأولى ودعامة الحكم القوية فيتأكد من صحتها ويفهمها على وجهها ولا يُحملها أكثر من طاقاتها وبذا يستعيد الماضى ويكون أجزاءه البالية ويعرض منه صور تطابق الواقع ما أمكن ونستطيع أن نقول عن ثقة أن علماء الحديث قد وضعوا اسس وقواعد واصول منهج البحث التاريخى أو المنهج الاستردادى عند تدوينهم للسنة النبوية الشريفة والتحرى الدقيق والكامل عن صحة نسبة الأحاديث إلى الرسول صلى الله عليه وسلم والتأكد من أن رواة الحديث رجال ثقة وأن كثرتهم وتباعد أماكنهم مع إجماعهم على قول واحد يُحيل دون تواطئهم على الكذب [1]. وقد بذلوا جهوداً مضنية وقال فى ذلك ابن حجر :

(١) لمعرفة المزيد عن هذا الموضوع ارجع إلى ابن حجر : فتح البارى جـ٢ ص٢٣٦.

«إن الأخبار التى تُشاع ولو كثر ناقلوها إن لم يكن مرجعها إلى أمر حسى عن مشاهدة أو سمع لا تستلزم الصدق [1]. وذلك هو شأن الأدلة النقلية ولذلك فإن اتصال سند رواة الأحاديث النبوية الشريفة لابد أن يكون صحيحاً وأن يكونوا رواة ثقة يمتدون بسند متصل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويكون أخرهم قد شاهد الرسول وسمع منه وأخذ عنه للتأكد من صحة الأحاديث ولذلك فقد قسم رجال الحديث السنة إلى أقسام بحسب ثبوتها والتأكد من صحة نسبتها إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ومن الحقائق المطوية فى ثنايا كتب التراث أن الأحاديث النبوية قد دونت فى حياة الرسول صلى الله عليه وسلم وفى حياة صحابته وكتبها عنهم من سمعها منهم وقد كتب عن الرسول ما أملاه من الفرائض وغيرها كتبها الوافدين عليه أو أرسلها إلى من رأى أرسالها إليه لتكون تبصرة وتذكرة فيما افترض عليهم من الفرائض أو أدبهم به من سنى الأدب ومن أمثلة تلك الكتب كتابه صلى الله عليه وسلم إلى «عمرو بن حزم» فى بيان أنواع الديات والصدقات من الإبل والبقر والغنم والذهب والورق والثمر والحب وغيرها من صنوف الصدقات [2]. وقد أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بكتابة خطبته يوم فتح مكة فكتبها عنه أبو شاه وثبت عن الرسول (ص) أنه قال لا تكتبوا عنى إلا القرآن فمن كتب عنى شيئاً فليمحه». وهذا الحديث وأمثاله مما يتضمن النهى عن كتابة الحديث كان فى صدر الاسلام لأن العرب لم يكونوا قد تمرسوا بعد بأساليب القرآن فخشى (ص) من أن يختلط عليهم الأمر فيظن أن ما بالصحف من رأى القرآن إنما هو كلام الرسول فيختلط القرآن الكريم بالسنة. ولما ازداد تفقههم فى الدين وكثر سماعهم للقرآن وعرفوا طرائقه فى التعبير واستبان لهم نهجه الفريد فى تصوير المعانى أمرهم الرسول بتدوين السنة ومن ذلك أنه طلب من عبد الله بن عمرو بن العاص بالاستمرار فى كتابة الحد[illegible] فهذا يدلنا على أن السنة قد بدأ تدوينها منذ عصر الرسول ثم الصحابة والتابعين [illegible]عوا أصول منهج البحث التاريخى فى البحث [illegible]حقيقة والتدقيق فى صحة الرواي[illegible] درجة الثقة فى الراوى ومدى قدرته على نقل الرواية صحيحة ودرجة أمانته فى النقل وهم فى ذلك يهتدون بما جاء فى القرآن الكريم من الحث على توخى الدقة والحذر فى نقل الأخبار وضرورة التيقن من صدق ما يُقال فالقرآن فى تناوله لأخبار الأمم السابقة وتاريخ الإنبياء وقصصهم كان ينقل كل ذلك

---

(١) ارجع إلى ابن حجر : فتح البارى جـ٢ ص٢٣٦.
(٢) انظر فتح البارى بشرح صحيح البخارى للإمام العسقلانى المتوفى سنة ٨٥٢ هـ جـ١ تقديم السيد أحمد صقر.

بأمانة وصدق حتى أن الخبر أو الحدث الواحد وليكن قصة سيدنا موسى عليه السلام - كان يُذكر فى عدة مواضع من القرآن وفى صور مختلفة وكل الآيات التى تتناول الحدث تصوره تصويراً صادقاً وتكتمل الحقيقة حول هذا الحدث من جملة الآيات التى ورد فيها قال تعالى : « **لقد كان فى قصصهم عبرة لأولى الألباب ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذى بين يديه وتفصيل كل شيء** » (يوسف : ١١١). وقدحملت آيات القرآن الكريم فى طياتها المنهج الاستردادى فى مثل قوله تعالى : « **ياأيها الذين أمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين** » (الحجرات : ٦). فهذه الآية الكريمة تحث على البحث فى صحة ما يروى من أنباء وضرورة التحقق من صدقها فهى تحمل أمر إلهى بالبحث فى الوقائع وعدم تقبل وتصديق الأخبار دون تمحيص وتدقيق يثبت صحتها [١]. وتلك هى روح منهج التاريخ وأهم سماته

١٤ - منهج الجدل Dialectic method :

الجدل عبارة عن مراء يتعلق باظهار المذاهب وتقريرها [٢]. وهو طريقه للمناقشة والاستدلال أخذ عدة معانى [٣]. والمجادلة هى مخالفة تبغى إلزام الخصم بطريق مقبول محمود بين الجمهور [٤].

---

(١) ظل القرآن طوال أربعة عشر قرناً بعيداً عن التحريف واعترف بذلك المنصفون من المستشرقين فليس من حق مؤمن أو ملحد أن يعمد إلى حذف أو إضافة أو تحريف ولا يباح ذلك بإجماع أو اجتهاد بالرأى يقول «نولدكه» Noeldcke فى كتابه «تاريخ القرآن» جـ٢ إن النص القرآنى المتداول بين المسلمين بمن فيهم الشيعة هو أحسن صورة من الكمال والمطابقة وقد أكد «موير» Muir فى كتابه «محمد والقرآن» أن المصحف الذى جمعه عثمان قد انتقل من يد إلى يد حتى وصل إلينا بغير تحريف فلا يوجد إلا قرآن واحد يجمع الفرق الاسلامية المتنازعة المتصارعة والنص القرآنى باق كما هو على الدوام يتحدى الزمن» وقال «لوبولو» Lobolo فى كتابه «القرآن والتوراه العبرية» أن القرآن هو الكتاب الربانى الوحيد الذى ليس فيه أى تغيير يذكر انظر أيضاً د./توفيق الطويل قضايا من رحاب الفلسفة والعلم دار النهضة العربية ١٩٨٦ ص١٥٩.

(٢) الكرمانى : التعريفات ص٦٦.

(٣) للجدل معانى متعددة فى المدارس الفلسفية منها (أ) عند سقراط : الجدل مناقشة تقوم على حوار وسؤال وجواب - (ب) عند أفلاطون الجدل منهج فى التحليل المنطقى يقوم على قسمة الأشياء إلى أجناس وأنواع بحيث يصبح علم المبادىء الأولى والحقائق الأزلية. (ج) عند ارسطو ومناطقة المسلمين الجدل قياس مؤلف من مشهورات ومسلمات. (د) عند «كانت» الجدل منطق ظاهرى فى سفسطة المصادرة على المطلوب وخداع الحواس. (هـ) عند «هيجل» انتقال الذهن من قضية ونقيضها إلى قضية ناتجة عنهما ثم متابعة ذلك حتى نصل إلى المطلق : انظر المعجم الفلسفى تصدير الدكتور/ابراهيم مدكور - الصادر عن مجمع اللغة العربية الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ١٤٠٢ هـ/ ١٩٨٣م.

(٤) ابن سينا : الشفاء كتاب الجدل ص٢٣.

وإذا كان منهج الجدل هو إقامة البراهين والأدلة لإثبات صدق قضية واقناع الخصم عن طريق المحاورة الفكرية فإن القرآن الكريم يقوم فى كثير من اياته الكريمة على الجدل والمحاورة العقلية لإثبات قضايا العقيدة. وقد جعل الله مقاييس الجدل متفاوتة كتفاوت العقول البشرية ذاتها ومن هنا نجد أن الجدل فى القرآن والسنة متعدد الحوارات التى تعددت بتعدد الأغراض والمقامات والمناسبات والأعراض وقد ورد لفظ الجدل فى القرآن الكريم فى مثل قوله تعالى : « **أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن** » (النحل : ١٢٥) وقوله تعالى : « **وكان الإنسان أكثر شيئا جدلا** » (الكهف : ٥٤). ومن أنواع الجدل التى جاءت فى القرآن الكريم :

١ - الجدل بالحق :

وهذا النوع من الجدل رد الله تعالى به على الخصوم بما ساقه تعالى فى ايات القرآن من أدلة وحوار عقلى ليثبت العقائد ويقرر قواعد الدين مما جاء على ألسنة رسله وأنبيائه وما ألهم به عباده الصالحين من قول الحق ورد الباطل وهو أمر ضرورى لتبليغ رسالة الله إلى الناس ودفع ما يقابلها من المطاعن وكشف الشبهات التى تحدق بها. وهذا النوع من الجدل القرانى إلى جانب ما يحمله من معنى الأفحام والإلزام فهو مشتمل أيضاً على التوجيه والإرشاد إلى طريق الحق والصواب.

٢ - الجدل بالحوار :

والقصد منه حب الاستطلاع والاسترشاد والغطة [١]. ومن هذا القبيل جدل ابراهيم عليه السلام مع ربه حيث قال : « **رب أرنى كيف تحى الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبى** » (البقرة : ٢٦٠). ومن ذلك النوع من الجدل أيضاً جدال الملائكة وجدال خَوْلة بنت ثعلبة [٢].

---

(١) انظر أنواع الجدل فى القرآن الكريم فى كتاب الإتقان للسيوطى وكتاب استخراج الجدل من القرآن للإمام محمد عبد الرحمن بن نجم المعروف بابن الحنبلى.

(٢) خولة بنت ثعلبة : من نساء المسلمين ذهبت إلى رسول الله تشكو إليه من زوجها الذى حلف عليها بالظهار قائلاً لها «أنت علىَّ كظهر أمى» فقال لها الرسول أنت محرمة عليه واعتبر الظهار طلاقاً لا رجعة فيه فظلت السدة تجادله غير أنه صلى الله عليه وسلم أصر على رأيه فاشتكت إلى الله ظلم زوجها لها فى آخر عمرها فانزل الله فيها قوله «قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها وتشتكى إلى الله » (المجادلة : ١). وفيها حكم الظهار.

٣ - الجدل بالباطل :

وهو ما ورد على السنة الكفار من الاعتراضات والشبه والدعاوى الباطلة التى وردت فى القرآن الكريم كما فى قوله تعالى : « **وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق** » (غافر : ٥). ومن أساليب الجدل فى القرآن الكريم ما يلى :

أ - القول بالموجب :

أن تقع صفة من كلام الغير كناية عن شىء أثبت له حكم فيثبتها لغير ذلك الشىء مثل قوله تعالى : « **يقولون لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون** » (المنافقين : ٨). «فالأعز» فى كلام المنافقين جاءت كناية عن فريقهم و«الأذل» كناية عن فريق المؤمنين وقد أثبت المنافقين لفريقهم إخراج المؤمنين من المدينة لأنهم هم الأعز فأثبت الله فى الرد عليهم صفة العزة لغير فريقهم فأثبتها للمؤمنين فكأنه قيل صحيح ما تقولون « **ليخرجن الأعز منها الأذل** » ولكن الأعز هو الله ورسوله والمؤمنون وأنتم الأذل وستخرجون منها [١].

ب - حمل لفظ وقع فى كلام الغير على خلاف مراده مما يحتمله بذكر متعلقة.

قال السيوطى [٢]. فى مصنفة «ألاتقان» مثل قوله تعالى : « **ومنهم الذين يؤذون النبى ويقولون هو أذن قل أذن خير لكم** » (التوبة : ٦١). وهذه الآية توضح أن المنافقين كانوا يؤذون الرسول صلى الله عليه وسلم بقولهم «هو أذن» أى يصدق كل ما يقال له ويسمعه فيقول الله سبحانه وتعالى رداً عليهم قل أنه يسمع ولكنه يسمع الخير ويقبله وهو أُذن خير يعرف الصادق من الكاذب ويصدق بالله ويصدق المؤمنين [٣].

٤ - الجدل بالتسليم :

وهو أن يفرض المحال أما منفياً أو مشروطاً بحرف الإمتناع لكون المذكور ممتنع الوقوع لإمتناع وقوع شرطه ثم يسلم وقوع ذلك تسليماً جدلياً ويدل على عدم فائدة

---

(١) ذكره السيوطى عن ابن ابى الأصبع فى الإتقان جـ٤ ص٥٥.
(٢) السيوطى : الاتقان فى علوم القرآن جـ٤.
(٣) انظر ابن كثير : تفسيرالقرآن العظيم جـ٢ ص٢٦٧.

ذلك على تقدير وقوعه وذلك مثل قوله تعالى : « ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذا لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون » (المؤمنون : ٩١). وهذا يعني أنه ليس مع الله إله آخر ولو سلمنا بإن معه سبحانه إلهاً للزم من ذلك التسليم بأن كل إله من الإثنين يذهب بما خلق ولعلا أحدهما على الآخر ولا يتم في العالم أمر ولا ينفذ فيه حكم ولا تنتظم أحواله غير أن الواقع في العالم خلاف ذلك وهذا يجعل أن فرض وجود الهين للعالم أو أكثر محال لم يلزم عنه من المحال. وهذا النوع من الجدل قريب من قياس الخلف السالف الذكر إلا أنه ينفرد عنه بالتسليم الجدلي الوارد في الخيال لا في الواقع (١).

٥ - الجدل بالإستدلال على الخصم بإظهار التشهي والتحكم :

فيقال له لا حجة لك فيما تدعي سوى التشهي والتحكم بالباطل فإذا جاءك ما يلائم هواك قبلته وإذا جاءك ما يخالفه رددته مثل قوله تعالى : « أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون » (البقرة : ٨٧). ومثل قوله تعالى : « أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض » (البقرة : ٨٥).

٦ - الجدل بإبطال دعوى الخصم بإثبات نقيضها :

وذلك مثل قوله تعالى في شأن اليهود : « وما قدروا الله حق قدره إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا » (الأنعام : ٩١). فاليهود يعترفون بكتابهم وفي نفس الوقت ينكرون أن الله قد أنزل على أحد من البشر من شيء وهذا فيه تناقض واضح.

٧ - الجدل بالإستدلال بوجود الأثر على وجود المؤثر :

وذلك مثل استدلال سيدنا ابراهيم عليه السلام من وجود الكواكب والشمس والقمر على وجود الله بعد أن تبين له أنها ليست الهة بل هي مخلوقات حادثة تحتاج إلى محدث أحدثها.

---

(١) لمعرفة المزيد عن الجدل في القرآن ارجع إلى الشيخ محمد على سلامه : منهاج الفرقان في علوم القرآن وانظر أيضاً : محمد أبو زهرة، المعجزة الكبرى في القرآن.

٨ - الجدل عن طريق مجاراة الخصم ليتبين عثرته :

وذلك بأن تسلم للخصم ببعض مقدماته مع الاشارة بأنها لا تنتج ما يريده هو بل هى مساعدة على انتاج ما تريده أنت مثل قوله تعالى : « **قالت رسلهم أفى الله شك فاطر السماوات والأرض يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم إلى أجل مسمى قالوا إن أنتم إلا بشر مثلنا تريدون أن تصدونا عما كان يعبد أباؤنا فأتوا بسلطان مبين قالت لهم رسلهم إن نحن إلا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده** » (ابراهيم : ١٠- ١١). فكان الرسل يردون على منكرى نبوتهم بقولهم إن ما أدعيتم من كوننا بشر فهو حق لا تنكره ولكن دعواكم لا تعنى عدم الرسالة ولا تنفى أن يمن الله علينا بها بل أن البشرية شرط فى الرسالة إلى البشر. وهذه الطريقة فى الجدل قريبة من طريقة القول بالموجب السالفة الذكر إلا أن الفرق بينهما يرجع إلى الوصف الذاتى الوارد فى كلام الخصم فى القول بالموجب فإنه قد عومل بنقيض قصده الوارد على لسانه. أما مجاراة الخصم ففيه تسليم ببعض المقدمات مع بيان أن هذه المقدمات غير مانعة من نقيض قصده فهى مراد لا يمنع من الاراد، وفى مجاراة الخصم اجتذاب له إذا سلمت ببغض مقدماته فعليه أن يُسلم بالنتائج الصحيحة وإلا وقع فى الإلزام[١].

٩ - الجدل بغرض الانتقال فى الاستدلال :

وهو أن ينتقل المستدل من دليل إلى آخر أو من مثال إلى مثال لعدم فهم الخصم وجه الدلالة من الدليل أو المثال الأول عند فهمه وجه الدلالة ولكنه يعمد إلى المغالطة فيأتى بدليل أو مثال آخر لا يجد الخصم معه مفراً من التسليم أو الكف عن الجدل وذلك مثل قوله تعالى : « **ألم تر إلى الذى حاج ابراهيم فى ربه أن أتاه الله الملك إذ قال ابراهيم ربى الذى يحيى ويميت قال أنا أحيى وأميت قال ابراهيم فإن الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذى كفر والله لا يهدى القوم الظالمين** » (البقرة :٢٥٨).

---

(١) ارجع إلى السيوطى : الاتقان : جـ٤ ص٥٧.

١٠ - الجدل بثبوت لفظ على لسان الخصم فى سياق آخر تُسجل به عليه ما كان عنده محل شبهة وانكار :

وذلك مثل قوله تعالى : « ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعدكم ربكم حقا قالوا نعم فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا وهم بالآخرة كافرون » (الأعراف : ٤٤ - ٤٥).

١١ - وهناك طريقة السبر والتقسيم وهو أيضاً باب من أبواب الجدل الذى ورد فى القرآن الكريم :

يتخذه المجادل سبيلاً لإبطال دعوى الخصم الذى يجادله عن طريق حصر أوصاف الشىء موضوع الجدل ثم توضيح أنه ليس فى أحد هذه الأوصاف خاصية تبرر إدعاء الخصم فتبطل بذلك دعوى الخصم عن طريق الحصر المنطقى للموضوع ومن أمثلة هذا الجدل قوله تعالى : « ثمانية أزواج من الضأن اثنين ومن المعز اثنين قل الذكرين حرم أم الانثيين أما اشتملت عليه ارحام الأنثيين تبنونى بعلم إن كنتم صادقين ومن الإبل اثنين ومن البقر اثنين قل الذكرين حرم أم الأنثيين أما أشتملت عليه أرحام الأنثيين أم كنتم شهداء إذ و صاكم الله بهذا فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا ليضل الناس بغير علم إن الله لا يهدى القوم الظالمين » (الأنعام : ١٤٣ - ١٤٤). وقد أوضح السيوطى وجه الاستدلال الجدلى فى هاتين الآيتين قائلاً : «إن الكفار لما حرموا ذكور الأنعام تارة وإناثها تارة أخرى رد الله عليهم ذلك بطريقة السبر والتقسيم فقال إن الخلق لله خلق من كل زوج مما ذكر ذكراً وانثى فمما [illegible] تحريك ما ذكرتم؟ لا يخلو أما أن يكون من جه[illegible] الذكورة أو الأنوثة أو [illegible]كليهما أو [illegible] ذلك التحريم عن الله تعالى أو إرسال رسول أو [illegible]ماع كلامه ومشاهدة تلقى ذلك عنه وهو معنى قوله تعالى : « أم كنتم شهداء إذ أو صاكم الله بهذا »(الانعام : ١٤٤) فهذه وجوه التحريم لا يخرج عن واحدة منها. والأول يُلزم عليه أن يكون جميع الذكور حراماً، والثانى يُلزم عليه أن تكون جميع الإناث حراماً والثالث يلزم عليه تحريم الصنفين معاً فبطل ما فعلوه من تحريم بعض فى حالة وبعض فى حالة أخرى لأن العلة على ما ذكر تقتضى إطلاق التحريم والأخذ من الله بلا واسطة باطل ولم يدعوه. وبواسطة رسول كذلك لأنه لم يأتى إليهم رسول قبل النبى

صلى الله عليه وسلم، وإذا بطل جميع ذلك ثبت المدعى وهو أن ما قالوه إفتراء على الله وضلال» [1]. وقس على ذلك قولهم فى تحريم السائبة والوصيلة والضأن والماعز وغيرها.

١٢ - ومن أساليب الجدل التى تضمنها القرآن أفحام الخصم ببيان أن دعواه تلزمه القول بما لم يقل به أحد :

وبما لم يعترف به هو وقد ورد ذلك فى مثل قوله تعالى : « وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات بغير علم سبحانه وتعالى عما يصفون بديع السماوات والأرض أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شيء وهو بكل شيء عليم » (الأنعام : ١٠٠ - ١٠١). فلم يدع أحد أن لله سبحانه وتعالى صاحبة ومن ينسب لله الولد يعتقد عدم وجود الصاحبة لله تعالى إذ كيف يكون له ولد وليس له صاحبة؟ فقد نُفي التولد عنه تعالى لامتناع التولد عن شيء واحد وأن التولد إنما يكون بين اثنين وهو سبحانه لا صاحبة له تعالى عن ذلك علواً كبيراً.

١٣ - ومن طرق الجدل التى جاءت بالقرآن طريقة الاستدلال بالتحدى على صدق الدعوى :

فقد تكون الدعوى صحيحة ظاهرة تلمسها الحواس ويمكن التأكد من صدقها ومع ذلك تجد من الخصم مكابرة وانكاراً للواقع فيأخذ سبيل المعارضة لكل ما خالف معتقده وهواه دون تدبر للحقائق أو نظرة عادلة موضوعية للأمور كمعارضة المشركين للرسول (ص) وتشكيكهم فى أن القرآن موحى به إليه من عند الله كما فى قوله تعالى : « وإن كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعو شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التى وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين » (البقرة : ٢٣ - ٢٤). وقوله تعالى : « قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا » (الاسراء : ٨٨). وعلينا كمسلمين أن نزيل التعتيم عن حقائق الاسلام وأن نوضح أنه دستور حياة

---

(١) انظر السيوطي : الاتقان جـ٤ ص٥٥.

ومنهج لها ودعوة صريحة للعلم والتقدم والنهوض والصدق والأخلاق والموضوعية والحكمة(1).

تلك جملة من المناهج التى أمكن أن نتبينها فى القرآن والسنة وليس حصراً لما تحمله الآيات القرآنية والأحاديث النبوية من مناهج التفكير المتعددة لأن كلمات الله يصعب حصرها ويستحيل استخلاص كل ما تحمله من معانى فكل مجتهد يستطيع أن يستخلص من القرآن أفكار ومعارف على قدر طاقته البشرية ولكن لا يوجد من يدعى أنه عَرِفَ كل ما تحمله كلمات الله من معنى رغم أن المفسرين والمجتهدين يدرسون القرآن ويستخرجون كنوزه منذ نزوله على محمد صلى الله عليه وسلم حتى أن تقوم الساعة قال تعالى : « **قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى ولو جئنا بمثله مددا** » (الكهف : ١٠٩).

---

(١) انظر : محمد الغزالى تراثنا الفكرى فى ميزان الشرع والعقل ص٢٣ وما بعدها الطبعة الأولى دار الشروق - بيروت ١٤١١ هـ ١٩٩١م.

الخـــاتمــة

أولاً : للتفكير السليم أسس وقواعد عامة يختص بها.

ثانياً : لابد للباحث من اتباع منهج معين أو خطة منظمة ترسم له الخطوات العملية التى يسلكها حتى يصل إلى النتائج المستهدفة من بحثه أو علمه.

ثالثاً : القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة يحملا سمات عامة للتفكير السليم من أهمها :

١ – الحث على اتباع منهج منظم وطريقة واضحة مستقيمة لحياة سعيدة مستقرة فى الدنيا والأخرة.

٢ – أمر الإسلام الانسان بالنظر العقلى وتأمل الظواهر الكونية وتأمل نفسه لمعرفة دقة الصنع فيها جميعاً للوقوف على عظمة الابداع الإلهى فى خلقه والاستدلال من ذلك على وجود الله تعالى والتحقق من أن الصدفة يستحيل أن توجد أشياء على هذا التنظيم وهذه الدقة.

٣ – أمر الإسلام بطلب العلم وكرم العلماء وطلب من الناس الاستعانة بأهل العلم والخبرة فى تدبير أمور حياتهم للوصول إلى الحقائق العلمية وأسرار الكون.

٤ – أتاح الاسلام للإنسان حرية الفكر وحرية العقيدة ونبذ التفرقة العنصرية والتعصب.

٥ – وأمر الحكم على الاشياء بموضوعية ونزهة وطالب بعدم اتباع الهوى وبإقصاء الخبرة الذاتية فى الحكم على الاشياء حكماً سليماً.

٦ – وأمر الانسان بالبحث عن الحقيقة وإحقاق الحق وإبطال الباطل للوصول إلى أحكام صادقة .

٧ – أمر الاسلام الانسان بالابتعاد عن الخرافات والشعوذة والسحر والكهانة وغيرها من التصرفات التى لا تتفق مع العقل السليم والتفكير العلمى.

٨ – حث الاسلام الانسان على اليقظة العقلية وعدم الغفلة ونبهه إلى دقة الملاحظة وألا يمر على الاشياء التى حوله مر الكرام وإنما لابد أن تكون نظرته ثاقبة يقظة.

٩ – دعا الاسلام إلى التسليم بوجود سنن وقوانين عامة ثابتة تحكم الظواهر الكونية مع عدم الربط الحتمى والضرورى بين الاسباب والمسببات.

١٠ – وقد دعا الاسلام إلى طلب الحجة والدليل العقلى والحسى وجعل الله الانسان اكثر شيء جدلاً.

١١ – نبه الله الانسان إلى ضرورة الشمول والتكامل فى تفكيره وعدم النظر إلى الأمور نظرة جزئية والاسلام دين شامل كامل اهتم بكل امور الحياة وأرسل للناس كافة.

١٢ – وحث الاسلام على الصبر والمثابرة فى البحث وفى مجابهة امور الحياة وفى مواجهة المشكلات وهى سمة أساسية من سمات الباحث والعالم فالصبر والمثابرة على البحث وعدم التسرع فى القفز إلى النتائج يجعل الباحث فى مأمن من الخطأ.

١٣ – ودعا الاسلام قرآناً وسنة إلى الحوار بالحسنى والجدل بالتى هى أحسن وبالموعظة الحسنة واحترام رأى الغير ومناظرته إذا كان هذا الرأى يخالف صريح الكتاب والسنة بألفاظ مهذبة دون غلظة أو فظاظة.

١٤ – وأمر الاسلام الناس جميعاً بالتزام الأمانة فى الأقوال والأفعال والتزام الأمانة العلمية وهذه من أهم مميزات التفكير السليم.

رابعاً : البحث فى القرآن الكريم والسنة المطهرة عن مناهج التفكير ليس عبثاً وليس وليد اليوم فإن المفكرين وقفو ى أنواع عديدة للجدل والقياس العقلى والاستدلال الاستنباطى قديماً وحديثاً فى القرآن والسنة.

خامساً : القرآن والسنة يحتويان على عدة مناهج يمكن أن نذكر منها ما يلى :

١ – المنهج الاستقرائى القائم على الملاحظة والتجربة واستقراء الواقع وإن كانت التجربة التى يعتمد عليها المنهج الاستقرائى فى القرآن والسنة ليست تجربة معملية كما هو الحال فى العلوم وإنما هى تجربة واقعية حسية مشاهدة فى الحياة العملية.

٢ – منهج الاستدلال القياسى وهو فى القرآن والسنة يتخذ عدة أشكال متنوعة.

٣ – منهج الاستدلال الاستنباطى وهو منهج عقلى جاء فى كتاب الله وسنة رسوله

٤ – ومن المناهج التى تضمنها القرآن الكريم والسنة المطهرة منهج يقوم على توضيح صدق القضية عن طريق ضرب الأمثلة وهذا المنهج يقوم على فكرة أن الذهن لا يعرف الأمور المحسوسة مباشرة وإنما يعرفها عن طريق الأفكار التى تماثلها.

٥ – يتضمن القرآن الكريم والسنة المطهرة ضمن ما يشتملا عليه من مناهج منهج توضيح الفكرة أمام الذهن عن طريق تبسيطها بتحليلها إلى عناصرها البسيطة.

٦ – كما يتضمنا منهج لتوضيح الأفكار عن طريق تعريفها.

٧ – وأن التعريف Definilion له وظيفة سيكولوجية وأخرى منهجية فهو يعين على سرعة الفهم الدقيق ويوضح الأفكار فى الذهن كما يستخدم أيضاً فى البرهنة والاستدلال.

٨ – كذلك يشتمل القرآن والسنة على منهج الاستبطان الذاتى وهذا المنهج يستخدم غالباً فى علم النفس للعلاج النفسى وليقف الانسان امام نفسه ويتوغل بداخلها بغية التعرف على خفاياها.

٩ – وقد اشتمل القرآن والسنة على المنهج المقارن الذى غالباً ما يستخدم فى علم مقارنة الأديان.

١٠ – ومن المناهج التى وردت فى الكتاب والسنة منهج توليد المعانى وأول من استخدم هذا المنهج هو سقراط الذى كان يستخلص به الأفكار الموجودة بالذهن عن طريق طرح الاسئلة التى تجعل المسئول يتذكر الاجابة.

١١ – وهناك منهج اثبات صدق قضية عن طريق صدق التنبؤات التى تحملها وهذا المنهج قد جاء فى الكتاب والسنة فى عدد من الآيات والأحاديث.

١٢ – المنهج الكشفى وهو قائم على المعرفة القلبية لله تعالى .

المراجع العربية

- القرآن الكريم
- كتب الصحاح
  - شرح ابن ماجة : دار الفكر العربى – تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى.
  - شرح الكرمان : طبع المطبعة البهية سنة ١٣٥٦هـ.
  - فتح البارى بشرح صحيح البخارى المطبعة الأميرية سنة ١٣٠١ هـ.
  - عمدة القارىء : للعينى – طبع الأستانة سنة ١٣٠٨ هـ.
  - شرح القسطلانى لصحيح البخارى المطابع الأميرية سنة ١٣٠٥ هـ.
  - كنز العمال فى سنن الأقوال والأفعال – لعلاء الدين بن على المتقى بن حسام الدين الهندى المتوفى سنة ٩٥٧ هـ – جمع فيه الأحاديث الواردة فى كتابى الجامع الكبير والجامع الصغير وزوائده للسيوطى ضبطه وفسر غريبه – الشيخ بكرى حيانى وصححه ووضع فهارسه الشيخ صفوة السقا مؤسسة الرسالة – بيروت سنة ١٣٩٩ هـ/ ١٩٧٩م.
- ابن تيمية : مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية – جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد ابن قاسم القاضى الحنبلى – المكتبة السلفية – مكة المكرمة بدون تاريخ.
- ابن الجوزى : عجائب علوم القرآن. حققه وقدم له د./ عبد الفتاح عاشور – مطبعة الزهراء للإعلام العربى – القاهرة ١٤٠٧ هـ/١٩٨٦م.
- ابن الجوزى : جامع الأصول فى -اديث الرسول – القاهرة سنة ١٩٤٩م.

ابن حجر : (العسقلانى) المتوفى ٨٥٤ هـ : فتح البارى بشرح صحيح البخارى جـ١، ٢، ٣ تقديم السيد أحمد صقر – القاهرة بدون تاريخ.

- ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد) مقدمة ابن خلدون نشر الدكتور على عبد الواحد وافى جـ٢ لجنة البيان العربى طبعة أولى – القاهرة ١٢٧٩ هـ/ ١٩٦٠م.
- ابن الحنبلى (محمد عد الرحمن بن نجم) : استخراج الجدل من القرآن – القاهرة بدون تاريخ.

- ابن سينا : الشفاء - المؤسسة العربية للدراسات والنشر سنة ١٩٨٢م.
- ابن كثير (عماد الدين أبو الفداء اسماعيل ابن كثير القرشي الدمشقي) المتوفى ٧٧٤ هـ جـ١، ٢، ٣، ٤ - الدار المصرية اللبنانية - القاهرة ١٤٠٨ هـ/ ١٩٨٨م.
- ابراهيم مدكور (الدكتور) : التعريف ووظيفته المنهجية عند ابن سينا - مقال في مجلة الكاتب المجلد ١١ عدد ابريل ١٩٥٢.
- ابراهيم مدكور (الدكتور) : المعجم الفلسفي - صادر عن مجمع اللغة العربية المطابع الأميرية - القاهرة ١٤٠٢ هـ/ ١٩٨٣م.
- أبو الحسن (الواحد النيسابوري) : أسباب النزول. وبهامشه الناسخ والمنسوخ - مكتبة الصنادقية الاسلامية - القاهرة بدون تاريخ.
- أبو زهرة (محمد) : المعجزة الكبرى في القرآن دار الفكر العربي - القاهرة.
- التفتازاني : (الدكتور أبو الوفا الغنيمي) مفهوم الحرية في الاسلام مقال بمجلة التصوف الاسلامي العدد ٧٣ جمادى الأولى سنة ١٤٠٥ هـ.
- التفتازاني : الدكتور أبو الوفا الغنيمي) : حكمة العبادات - مقالة بمجلة التصوف الاسلامي العدد السابع ذو الحجة سنة ١٣٩٩ هـ.
- أحمد سليمان عودة (الدكتور) ، فهمي فتحي مكاوي (الدكتور) : اساسيات البحث العلمي في التربية والعلوم الإنسانية - مكتبة المنار جامعة اليرموك ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م.
- الرازي (فخر الدين) (٥٤٤هـ/٦٠٦هـ) : أفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء والمتكلمين - قدم له عبد الرؤوف سعد - مكتبة الكليات الأزهرية - القاهرة بدون تاريخ وبذيله كتاب تلخيص المحصل - لنصر الدين الطوسي.
- البرت اشفيتسر : فلسفة الحضارة - ترجمة عن الألمانية الدكتور عبد الرحمن بدوي دار الأندلس - بيروت الطبعة الثانية سنة ١٩٨٣م.
- أوليري (د.لاسي) علوم اليونان وسبل انتقالها إلى العرب - ترجمة الدكتور وهيب كامل مراجعة زكي على مكتبة النهضة المصرية سنة ١٩٦٢م.

- بدوى (الدكتور عبد الرحمن) : مناهج البحث العلمى - دار النهضة العربية القاهرة سنة ١٩٦٣م.

- توفيق الطويل (الدكتور) : الحضارة الاسلامية والحضارة الأوربية - مكتبة التراث الاسلامى.

- توفيق الطويل (الدكتور) : قضايا فى رحاب الفلسفة والعلم - دار النهضة العربية سنة ١٩٨٦م.

- توفيق الطويل (الدكتور) : فى تراثنا العربى الاسلامى - الكويت سنة ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

- جمال الدين القاسمى : دلائل التوحيد - دار الكتب العلمية - بيروت ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م.

ديو لدب ڤان دالين : مناهج البحث فى علم النفس - ترجمة عن الانجليزية الدكتور محمد نبيل نوفل، د./سليمان الخضير، د./طلعت منصور غبريال وراجعه د./سيد أحمد عثمان - مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٧٩م.

- زكريا ابراهيم (الدكتور) : مشكلة الحرية - القاهرة مكتبة مصر الطبعة الثالثة ١٩٧٢م.

- سهير فضل الله أبو وافية (الدكتورة) : فلسفة العمل فى الاسلام - القاهرة ١٩٨٧م.

- سهير فضل الله أبو وافية (الدكتورة) : الفلسفة الانسانية فى الاسلام - دار النهضة العربية.

- سهير فضل الله أبو وافية (الدكتورة) : الفكر الاسلامى يرد على المستشرقين - دار الكتاب للنشر والتوزيع ١٩٨٦م.

- سيد قطب : فى ظلال القرآن - الطبعة الثالثة عشر دار الشروق ١٩٨٧م.

- السيوطى (جلال الدين) : صون المنطق والكلام عن فن المنطق والكلام تحقيق الدكتور على سامى النشار - القاهرة.

- السيوطى (جلال الدين) : الاتقان فى علوم القرآن - المطبعة التجارية - القاهرة ١٩٦٠م.
- الشعراوى (الشيخ محمد متولى) : هذا هو الاسلام. الطبعة الأولى - القاهرة ١٩٨٥م.
- الطبرى (ابن جرير) : جامع البيان فى تفسير القرآن - تحقيق محمود محمد شاكر - الطبعة الثانية - دار المعارف - القاهرة ١٩٦٩.
- طه جابر العلوى (الدكتور) : أصول الفقه الاسلامى - المعهد العلمى للفكر الاسلامى١٤٠١هـ/١٩٨١م.
- عبد السلام هارون : الألف المختارة من صحيح البخارى جـ٢،١ مكتبة الخانجى -القاهرة١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.
- عثمان أمين (الدكتور) ديكارت - القاهرة ١٩٦٥م.
- عزمى اسلام (الدكتور) : مقدمة لفلسفة العلوم الفيزيائية والرياضية - الطبعة الأولى - القاهرة ١٩٧٧م.
- العقاد (عباس) : التفكير فريضة اسلامية - نهضة مصر للطبع والنشر - القاهرة١٩٦٦.
- على بن محمد ابن أبى العز : شرح الطحاوية فى العقيدة السلفية - بيروت ١٤٠٤هـ.
- الغزالى (أبو حامد) المتوفى سنة ٥٠٥ هـ: مكاشفة القلوب المقرب إلى حضرة علام الغيوب - المكتبة التوفيقية - القاهرة ١٩٨٨.
- فوقية حسين محمود (الدكتورة) : محاضرات فى الفلسفة الاسلامية - مطبعة أخوان رزيق ١٩٨٣ هـ.
- فوقية حسين محمود (الدكتورة) مدخل إلى الفكر الاسلامى - القاهرة ١٩٨٤م.
- كوكب عامر (الدكتورة) : الرد على زعم المستشرقين بأن القران غير منزل - القاهرة١٩٨٩م.

- كوكب عامر (الدكتورة) : معرفة الله والطريق إليها بحولية - كلية البنات العدد ١٣ سنة ١٩٨٨م.

- محمد بهاء سالم : القرآن الكريم والسلوك الانسانى - الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة سنة ١٩٨٧.

- محمد بهى (الدكتور) : المجتمع الحضارى وتحدياته من توجيه القرآن الكريم الطبعة الأولى - مكتبة وهبة ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م.

- محمد الحضرى : أصول الفقه المكتبة التجارية الكبرى - القاهرة بدون تاريخ.

- محمد زيدان (الدكتور) : البحث العلمى ومناهجه ومفاهيمه وتقنياته - الهيئة المصرية العامة للكتاب.

- محمد عبده (الإمام) : الاسلام والنصرانية مع العلم والمدنية - دار المنار - الطبعة الثامنة ١٩٧٣.

- محمد عبده (الإمام) : رسالة التوحيد - مطابع دار الشعب - القاهرة بدون تاريخ.

- محمد عبده (الإمام : الاسلام دين العلم والمدنية. تحقيق طاهر الطناحى - القاهرة بدون تاريخ.

- محمد عبد الله دراز (الدكتور) : مدخل إلى القرآن الكريم - الكويت ١٩٧٤م.

- محمد على سلامه : منهج الاسلام فى علوم القرآن - القاهرة بدون تاريخ.

- محمد الغزالى (الشيخ) : دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين - دار الكتب الحديثة - القاهرة ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م.

- محمد الغزالى (الشيخ) : نظرات فى القرآن - الطبعة الثالثة - القاهرة ١٩٦٥.

- محمد الغزالى (الشيخ) : تراثنا الفكرى فى ميزان الشرع والعقل - دار الشروق - بيروت ١٤١١هـ/١٩٩١م.

- محمد كمال جعفر (الدكتور) : الدين والتدين - المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - مطابع الأهرام التجارية ١٩٨١م.

- محمد كمال جعفر (الدكتور) : الاسلام بين الاديان - مطبعة حسان مكتبة دار العلوم الاسلامية والأديان - دار الثقافة الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م.

- النشار (الدكتور على سامى) : مناهج البحث عند مفكرى الاسلام - القاهرة بدون تاريخ.

- هويدى (الدكتور يحيى) ديكارت الجديد - القاهرة ١٩٧٢م.

- يوسف مراد (الدكتور) : مبادىء علم النفس العام الطبعة الرابعة - دار المعارف - القاهرة ١٩٦٢.

- يوسف محمد عيد (الدكتور) : دروس من حياة الرسول صلى الله عليه وسلم - المطبعة المحمدية التجارية ١٩٧٩م.

معاجم :

- المعجم الفلسفى : تصدير الدكتور ابراهيم مدكور - صادر عن مجمع اللغة العربية - القاهرة الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ١٤٠٢هـ/١٩٨٣م.

- المعجم الوجيز - طبعة خاصة بوزارة التربية والتعليم - القاهرة ١٩٩١م.

- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن محمد فؤاد عبد الباقى - دار الريان للتراث - القاهرة١٤٠٧ه/١٩٨٧م.

- التعريفات للجرجانى - القاهرة ١٢٨٣هـ/١٩٣٨م.

دوريات :

- حولية كلية البنات - جامعة عين شمس العدد ١٣ لعام ١٩٨٨ بحث عن معرفة الله والطريق إليها من ص٢٠٩ - ٢٤٧.

مراجع أجنبية

- Ameer Ali : The spirit of Islam : Landon, 1922.
- Brockelman : History of Islam peoples : London, 1994.
- De Lacy O' Leary : how Greek scienc passed to the Arabs. London, 1950.
- H.A.R. Gibb : Studies on the Islamic civilization Oxford, 1963.
- Russell (B) : Mysticism and layic London, 1950.
- Youssef Mourad : La physicnomanie Arabe et le Kitab al - Firasa de Fakhr Al - Din A - Razi. Paris, 1939.

فهرس الآيات القرآنية

الآيـــــة | رقم الصفحة

الآيـــــة	رقم الصفحة

فهرس الكتاب

الموضوع	رقم الصفحة

الموضوع

رقم الصفحة

رقـــم الايـــــداع ١١١٩٦ / ٩٣

I . S . B . N

977 - 00 - 6327 - 4